أسرار العلاقة الخاصة بين

عبدالناصر .. والإخوان



سليمان الحكيم

مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر

أسرار العلاقة الخاصة بين

عبدالناصر .. والإخوان



سليمان الحكيم



أسرار العلاقة الخاصة بين :

عبد الناصر والإخــــوان

المـــــؤلـــــف : ســــليمان الحكيم

الإخــــــراج الداخــلى : محمــد الغليــونى

الطـبـعــــــة الأولى : مـــايـــو ١٩٩٦

النــاشـــــــــر :

الجمع والصف الالكترونى :

مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر



٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيـداع : ٩٦/٥١٣٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-5121-84-1

قبل أن تقرأ ..

ظلت العلاقة بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، تمثل واحداً من أكثر الألغاز إثارة فى تاريخ مصر المعاصر .. ولقد طغت الخصومة - بل والعداء - بين الفريقين حتى أصبحت هى الأغلب على وصف العلاقة بينهما .. رغم ما يجمع عليه المؤرخون من وجود علاقة ارتباط لعبد الناصر بجماعة الإخوان فى مرحلة مبكرة من تاريخه السياسى .. ولكن أحداً منهم لم يقف طويلاً عند تلك المرحلة فى تاريخ العلاقة بين الطرفين ليكشف لنا أسرارها ويحل ألغازها ليساعدنا على الإجابة عن العديد من الأسئلة الهامة والخطيرة مما ينعكس بإثاره على المرحلة الحالية فى تاريخنا السياسى .

من هنا كانت محاولتى بحثاً عمن يستطيع الكشف عن أسرار تلك العلاقة بين عبد الناصر والإخوان ، حتى عثرت عليه .. إنه المستشار الدمرداش العقالى الذى كان أحد أبرز أعضاء الجهاز السرى فى تنظيم الإخوان المسلمين ، وزعيم الطلبة الإخوان بالجامعة ، فى الوقت الذى كان قد تبلور فيه نشاط الإخوان كحركة سياسية حتى كاد أن ينحصر فى مجال الشباب والطلبة ، حتى أصبحت - أو كادت أن تصبح - حركة الإخوان المسلمين " حركة طلابية " .. وهو - العقالى - فوق ذلك ، يمت بصلة القرابة بالزعيم الإخوانى الأشهر - سيد قطب - صاحب أكبر تأثير فكرى وتنظيمى فى جماعة الإخوان ربما أكبر من مؤسسها حسن البنا نفسه . وقد كان سيد قطب خال زوجة العقالى . كما كانا - العقالى وقطب - أصدقاء فى مرحلة الطفولة والشباب وذلك لانتمائهما إلى بلدة واحدة هى أسيوط.. هذا فضلاً عن أن العقالى كان قد انخرط فى صفوف الإخوان قبل أن ينضم إليها سيد قطب نفسه.

لهذا كله كان المستشار العقالى فى الموقع الذى يسمح له ليس فقط برؤية الأحداث عن قرب ، بل والمشاركة فيها بفاعلية وتأثير .

ولعل اعترافاته التى أدلى بها لى فى هذا التحقيق .. تلقى ببعض الضوء الذى نحتاجه للتأريخ لتلك الفترة الحساسة من حياتنا السياسية . وأرى أنه ينبغى علينا أن نأخذ ما يقوله الرجل فى هذه الاعترافات بما هو جدير به من اهتمام وتفكير، خاصة وأنه يفجر الكثير من المفاجآت التى تقلب - بل وربما تعدل - الكثير من الأمور التى ظللنا نتعامل معها كمسلمات تاريخية .

أما الجزء الثانى من الكتاب فقد ضمنته محاكمة صحفية كنت قد أجريتها من سنوات للمستشار مأمون الهضيبى المتحدث الرسمى باسم جماعة الإخوان ، وابن المستشار حسن الهضيبى ثانى زعيم للجماعة بعد الزعيم المؤسس حسن البنا .

وفى هذه المحاكمة الصحفية .. سيلحظ القارئ إننى تطرقت فيها لعدد من الموضوعات الأخرى إلى جانب الموضوع الأهم وهو العلاقة بين عبد الناصر والإخوان ، وربما سأل أحدكم نفسه .. ما العلاقة بين تلك الموضوعات المختلفة ، والموضوع الأهم الذى هو عبد الناصر والإخوان ؟

والحقيقة إننى رأيت أنها موضوع واحد ، رغم ما قد يبدو ظاهرياً من اختلاف أو تباعد بينها.. فالسياسة - كما لا يخفى على أحد - فكر وممارسة ، ومن هنا تطرقت أسئلتى للمستشار الهضيبى لعدد من الموضوعات التى تتعلق بالممارسة السياسية وهو ما رأيت أنه يسهم فى الكشف عن حقيقة الفكر الذى يحرك جماعة الإخوان ويوجه سلوكها فى الشارع السياسى إن سلباً أو إيجاباً .

ولا أقول إننى بذلك قد وضحت ما كان يكتنفه الغموض ، أو أضأت ما كان يرسف فى الظلام ، ولكنى حاولت عمل ما كنت أعتقد أنه واجبى كصحفى وكاتب ، يؤمن بأمانة القلم .. ومسئوليته فى الكشف عن الحقيقة . كما هى .

وفى هذه "المحاكمة" كان يتعين علىّ أن أقوم بدور النائب العام وليس بدور القاضى الذى يجب ألا ينازعك فيه أحد .. أنت عزيزى القارئ . فلك - ولك وحدك - أن تحكم له أو عليه .

ولا يهمنى إن كنت قد نجحت أو فشلت ، ولكن ما يهمنى هو أننى قد حاولت . مجرد محاولة !

سليمان الحكيم

القسم الأول

١

العقـــالى :

عبد الناصــــر

نبتة «إخوانية»

جميع المصـادر التـى أرخت للعلاقـة بين عبـد الناصـر والإخـوان المسلمين أكـدت وجـود تلك العلاقة بينهما والتى تزيد تعمقاً عند البعض فيصل بها إلى قمة التنظيم ، بينما يحاول البعض الآخر تهميشها فيصل بها إلى حد التـوافق فى اتجاه الرغبة فى التـغـيـيـر وليست علاقة تواصل أو تلاحم فى الحركة التنظيمية ، والصحيح أن جمال عبد الناصر حسين لم يكن فقط جزءاً من حركة الإخوان المسلمين، من حيث العمل الثورى ، بل هو نبـتة إخوانية منذ الأساس ولدى على ما أقوله أكثر من دليل .

من مجمل ما كتب تأريخاً لثورة يوليو أن التذمر الذى بدأ يتسرب إلى نفوس الضباط بالجيش المصرى ، من جيل عبد الناصر وما قبله أو بعده بقليل ، هذا التذمر خرج إلى دائرة النور، بعد أن كان مجرد حالة نفسية على إثر حادث ٤ فبراير الشهير وهو ذلك اليوم الذى حاصرت فيه القوات البريطانية القصر الملكى بالدبابات لتفرض على ملك مصر تعيين النحاس باشا رئيساً للوزراء بدلاً من حسين سرى .

كان ذلك عام ١٩٤٢ وهو العام الذى وصل فيه الشارع المصرى إلى قمة التهيؤ للتغيير ، وكانت الحالة السياسية فى ذلك الوقت تتأرجح بين ثلاثة عوامل للتغيير ، وثلاثة أخرى للتثبيت . فالملك والاحتلال والإقطاع هى العوامل التى كانت تدعو لتثبيت الأوضاع على ما كانت عليه ، وقد كانت تلك العوامل الثلاثة متحالفة فى رغبتها تجاه الإبقاء على الحالة السياسية السائدة .

* * *

للتاريخ كانت أكثر الحركات نشاطاً فى ذلك الوقت هى حركة الإخوان المسلمين ، والوثائق التى تؤرخ لتلك الفترة ، تؤكد أن الإخوان كانوا قد وصلوا فى حركتهم إلى أطر جديدة ، فقد كانت أول حركة وطنية تستقطب فى أطرها الأجيال المختلفة ولا تقتصر على «جيل الآباء» وحده ، بعد أن كانت الأحزاب القديمة كلها تتعامل مع ذلك الجيل ،

ولكن جاءت حركة الإخوان المسلمين لتتواصل مع الشباب الذين استقطبتهم فى حركة أطلقوا عليها اسم «الجوالة» ينتظم فيها الأبناء من سن عشر سنوات وحتى السادسة عشرة ، وحركة أخرى اسمها «الإخوان العاملين» ينتظم فيها الأعضاء بين سن السادسة عشرة والأربعين ، ثم حركة «الإخوان المنتسبين» التى تضم الشيوخ فوق سن الأربعين .

ومعروف أن حسن البنا ، المرشد العام للإخوان المسلمين ومؤسس الحركة ، كان قد استطاع فى عام ١٩٣٨ أن يشكل نواة «الجهاز الخاص» أو ما سمى على ألسنة بعض خصوم الإخوان بالتنظيم السرى. وكان حسن البنا يعنى «بالخصوصية» التى أطلقها وصفاً للتنظيم الجديد أن يستخلص مجموعة من الشباب تعطى ولاءها للدعوة ، وقدرتها على العطاء دون انتظار للأخذ ، فى الحقل الذى توجههم فيه قيادة الحركة ، سواء أكان سلمياً أو عسكرياً .

إن حركة بهذه القدرة، على مستوى الأجيال استوعبت الصغير والكبير، وعلى مستوى الحركة استوعبت السرى والعلنى، وعلى مستوى العمل استوعبت السلمى والعسكرى، كانت هى الحركة الفاعلة وبالتالى فإنه عندما أحس الضباط المصريون بالرغبة فى التغيير عام ١٩٤٢، كان منطقياً أن ينصرفوا بأذهانهم إلى أكثر الحركات قدرة على معاونتهم لإحداث التغيير. ولهذا فإنه من الثابت أن اليوزباشى جمال عبد الناصر حسين قد انخرط فى صفوف الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢مشكّلاً مع عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحى ومحمود لبيب الجهاز الخاص للإخوان المسلمين فى الجيش .

ولم يكن اسم الضباط الأحرار قد ظهر بعد ، فكان هذا التشكيل السرى فى الجيش الذى انخرط

فيه عبد الناصر مجرد فرع «للجهاز الخاص» الذى أسسه حسن البنا عام ١٩٣٨ برئاسة عبد الرحمن السندى الذى كان لا يزال فى ذلك العام طالباً بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، أو جامعة القاهرة كما تسمى الآن ، وقد بايع جمال عبد الناصر حسن البنا المرشد العام للحركة بنفس الطريقة التى بايعه بها أى عضو آخر فى التنظيم أو الحركة ، وأصبح جمال عبد الناصر منذ ذلك الوقت من عام ١٩٤٢ عضواً عاملاً فى جماعة الإخوان المسلمين .

وقد عمل عبد الناصر فى السودان ، فى الوقت الذى وضحت فيه نوايا الانجليز لفصل السودان عن مصر ، مما ترك أثراً سيئاً فى نفوس الشباب من الضباط المصريين ، وكان عبد الناصر واحداً منهم، وكان لهذا المناخ المتوتر فى السودان أثره فى زيادة الوعى السياسى عند جمال عبد الناصر ، كما وسع من دائرة اهتماماته بما يحدث فى السودان أو أية بقعة أخرى من محيط مصر العربى والإسلامى ، وكان الحس الوطنى والقومى فى السودان - وربما لا يزال - مصبوغاً بالعاطفة الدينية . فمنذ ثورة المهدى وحركة الميرغنى والسودانيون يشتغلون بالسياسة فى إطار دينى .

ولا شك فى أن الفترة التى أمضاها عبد الناصر فى السودان زادت من يقينه بأنه لا خلاص لوادى النيل من الاحتلال والتخلف إلا من خلال الدين . فكان طبيعياً أن يزيد ذلك من ارتباطه بحركة الإخوان المسلمين .

تحول دراماتيكى

وقد ظلت حركة الإخوان المسلمين بقيادة حسن البنا وعبد الرحمن السندى فى القطاع المدنى وجمال عبد الناصر فى القطاع العسكرى ، تعمل لتغيير الأوضاع فى مصر والاستيلاء على السلطة ، كما كان مقدراً لها فى عام ١٩٥٥ ، فقد قدرت قيادة الإخوان أنه فى هذا العام يكون قد توافر لها من الإمكانات المادية والبشرية والحركية ما يمكنها من الاستيلاء على السلطة فى مصر .

ولكن ما الذى حدث حتى تغيرت الأحوال والأوضاع ، وبالتالى تغيرت الأوراق والترتيبات ..؟

إنها قضية فلسطين التى تفجرت على نحو دراماتيكى لم يكن فى حسبان أحد من قادة الإخوان وهم يخططون للأحداث فى مصر . فقد جاء عام ٤٧ الذى صدر فيه قرار تقسيم فلسطين من هيئة الأمم المتحدة بمثابة التحدى لـ«الأستاذ» حسن البنا ، الذى كان يدرب كوادره فى الجوالة والجهاز الخاص ليعمل بهم على تغيير الواقع على أرض مصر كما كان مقدراً فى عام ١٩٥٥ ، فأصبح يتعين عليه الآن الانتقال إلى أرض فلسطين لمواجهة معركة لم تكن محسوبة .

ومن هنا غير حسن البنا تكتيكاته مضطراً ، وبدا مقتنعاً بأن بداية التغيير الحقيقى ليس فى مصر فقط ، بل وفى العالم العربى كله ، هى الآن على أرض فلسطين التى يجب أن يخوض معركته فيها مع اليهود بالمتطوعين .

بدأ حسن البنا يجوب القرى المصرية وفى صحبته الحاج أمين الحسينى ليحث الناس على الجهاد

دفاعاً عن أرض فلسطين ، وقد رأيت - وكنت حينئذ عضواً بالجهاز الخاص بحركة الإخوان المسلمين رغم أنى لم أكن قد تجاوزت بعد السابعة عشرة من عمرى - كيف كان الرجال فى قرية تسمى «أبو خرس» بصعيد مصر يدخلون إلى بيوتهم ليأتوا بزوجاتهم ليتبرعن بمصاغهن للحسينى والبنا مشاركة منهم فى الجهاد على أرض فلسين .

من الخائن

وقد سافرت أول مجموعة من المتطوعين من الإخوان المسلمين إلى أرض فلسطين عقب قرار التقسيم مباشرة ، فى يناير عام ١٩٤٨ ، وبدأت فى اتخاذ مواقعها حول «الكيبوتزات» اليهودية فى جبال فلسطين .. وقد شرع المتطوعون المسلمون فى القتال المتلاحم مع المستوطنين اليهود فى المستعمرات الإسرائيلية فور وصولهم إلى هناك . وبدأوا فعلاً فى تحرير بعض المواقع المهمة ومنها «تبة اليمن» التى غيروا اسمها إلى «تبة الإخوان المسلمين» .

حينئذ بدأت القوى الاستعمارية فى التخطيط لدخول القوات العربية النظامية إلى ميدان المعركة ، بقيادة الملك عبد الله صنيع الانجليز ، وكان دخول القوات العربية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، مؤامرة على المتطوعين المسلمين وليس معاونة لهم .. فحين جمع فاروق مستشاريه ليبحث معهم ما يجب أن يفعله إزاء قضية فلسطين ، قال له أولئك المستشارون إن التيار الشعبى المصرى تجاه قضية فلسطين أقوى من أن يقاوم ، ولكن يمكن استيعابه وإجهاضه ، بأن تكون أنت - ياجلالة الملك - صاحب الجيش الذى يدخل فلسطين مقاتلاً ، فلا يزايد عليك الإخوان المسلمون ، ولا يكسبون على حسابك ورقة يمكن أن تكسبها أنت ، فقرر فاروق دخول القوات المصرية إلى فلسطين . حينئذ أدرك حسن البنا - وكان رجلاً أريباً محنكاً - بأن النظام العالمى القائم فى ذلك الوقت يسعى لكسر النفسية العربية وإصابتها باليأس والإحباط بهزيمة سبعة جيوش عربية أمام بعض العصابات الصهيونية . ولهذا أصدر حسن البنا أوامره بسحب قواته من المتطوعين بفلسطين وعدم الاستمرار فى إرسال قوات أخرى إلى هناك .

وقد كان لهذا القرار الذى أصدره المرشد العام أثر الدوى فى قواعد الإخوان ، حتى أن البعض منهم قد اتهمه بالخيانة ، ويقول العقالى : كنا نتدرب فى بعض المعسكرات بأسيوط استعداداً للسفر إلى أرض المعركة فى فلسطين حين جاءنا القرار بوقف التدريب وإخلاء المعسكرات من المتطوعين .

وبعد أن استوعب حسن البنا كل المهاجمين وحركة التمرد فى صفوف الإخوان ، عقد كتيبة ليلية لأعضاء الجهاز الخاص ليقول لهم : العمل هنا فى مصر وليس فى فلسطين ، وان الطريق إلى القدس لا بد وأن يمر عبر القاهرة ، وما يحدث الآن فى فلسطين إنما هو مؤامرة لتسليمها إلى اليهود بأسلوب يحبط الإرادة العربية والإسلامية لعدة أجيال قادمة . وقال كلمته الشهيرة : كنا نعمل على تنظيف سلّم الحياة فى مصر - بالتربية - من أسفل إلى أعلى ، فأبى النظام إلا أن يقنعنا بأن السلم لا ينظف إلا من أعلى إلى أسفل ..!

الزعيم عبد الناصر

وقد تنبه المعسكر الغربى إلى خطورة الإخوان على مخططاتهم فى المنطقة العربية فقرروا الإسراع بالتصدى للحركة وإجهاضها قبل أن يستفحل أمرها فتصبح عصية على التصفية والضرب .. وقد اجتمع سفراء انجلترا وفرنسا وتركيا وكانت عضواً ضالعاً فى التحالف الغربى ومشاركاً فى حرب كوريا وقرروا العمل على حل جماعة الإخوان المسلمين .. فصدر قرار بحل الحركة فى ١٩٤٨/١٢/٨ واعتقل جميع قيادة الإخوان ما عدا حسن البنا المرشد العام للحركة ورأسها المدبر ، وحينئذ أيقن الرجل أنه استبقى ليصفى ، لأنه لا معنى لأن يعتقل جميع قيادات الإخوان وهم دونه إلا أن يكون ذلك لأمر يدبر له خاصة .. فأعد وصيته وذهب بها ليسلمها إلى صالح حرب باشا فى جمعية الشبان المسلمين فى الليلة التى قتل فيها ، وهى الليلة الوحيدة التى خرج فيها من بيته منذ أن أحس بأنه مستهدف من قبل الملك وأعوانه .

المرشد العام

وقد كتب البنا موصياً بأن يكون المسئول عن جماعة الإخوان المسلمين فى حالة اغتياله أو غيابه هو عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز الخاص أو «التنظيم السرى» للإخوان المسلمين ، وإذا لم يكن السندى موجوداً يصبح جمال عبد الناصر حسين هو المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ..!!

وبعد اغتيال حسن البنا بأيام معدودة ضبط عبد الرحمن السندى فى القضية المشهورة باسم «سيارة الجيب» التى كانت تحمل الوثائق الخاص بالأسماء الحركية لجميع أعضاء الجهاز الخاص أو التنظيم السرى لحركة الإخوان المسلمين، وقد ضبطت السيارة الجيب التى كان يستقلها بعض أفراد التنظيم بالصدفة البحتة أمام قسم الوايلى بالعباسية، وعلى إثر ذلك ألقى القبض على عبد الرحمن السندى قائد التنظيم السرى وأودع السجن على ذمة القضية، فلم يبق لقيادة الحركة غير جمال عبد الناصر .

من الورشة إلى المعرض

لم يكن عبد الرحمن السندى حتى ذلك الوقت من الوجوه المعروفة ، فقد أبقاه حسن البنا تحت الأرض منذ أن أسند إليه قيادة التنظيم السرى عام ١٩٣٨ وقال السندى بعد قيام الثورة أن حسن البنا قال له حين اختاره لهذه المهمة السرية الخطيرة : إن الجهاز الخاص هو «الورشة» التى نعد فيها قادة التغيير ، أما مكتب الإرشاد والمركز العام والهيئة التأسيسية وحديث الثلاثاء فكلها بمثابة «المعرض» اللى نعرض فيه بضاعتنا ، والصانع الجيد لا يجعل مرتادى المعرض أو زواره يرون ما يحدث فى «الورشة» فالورشة تصنع فى صمت ، والمعرض يبيع بغير ضوضاء الورشة .

قد تكون هذه النظرة صائبة على المدى القريب ، ولكن على المدى البعيد كان هذا الفصام بين

الجهاز السرى والقيادة هو سبب مقتل حركة الإخوان المسلمين، فى غياب حسن البنا كما سيأتى ذكره فيما بعد .

بعد دخول عبد الرحمن السندى السجن انصرفت الأنظار إلى جمال عبد الناصر حسين ليقود الإخوان المسلمين كما جاء فى وصية المرشد العام وهو يستعد للرحيل قتلاً .. وكان عبد الناصر فى ذلك الوقت لا يزال محاصراً فى «الفالوجا» فانتظره صالح حرب ليبلغه بوصية المرشد العام قبل اغتياله . وقد حضر جمال عبد الناصر ومعه الصاغ محمود لبيب الذى كان قد أقنع عبد الناصر بالدخول فى حركة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢ .

عجلوا بالحركة

وقد جاء فى وصية البنا فضلاً عن اختيار السندى ثم عبد الناصر لقيادة حركة الإخوان بعد وفاته مناشدة قيادة الإخوان الجديدة أن تسارع بالتغيير وقلب نظام الحكم فى موعد أقرب من عام ١٩٥٥ الذى كان قد تم الاتفاق عليه موعداً للثورة ، فقد أصبحنا «فى سباق مع الزمن» .

ولعله من الثابت الآن أن إبراهيم عبد الهادى رئيس وزراء مصر بعد محمود النقراشى الذى اغتاله الإخوان المسلمون فى أعقاب قراره بحل جماعتهم، كان قد استدعى جمال عبد الناصر ليسأله عن علاقته بالإخوان المسلمين. وقد أنكر جمال عبد الناصر - بطبيعة الحال - أية صلة له بالجماعة المنحلة، بينما كان يحتفظ فى جيب سترته العسكرية بوصية حسن البنا وورقة أخرى تتضمن بعض أسماء المدنيين الذين رشحهم له حسن البنا للإتصال بهم عند قيام الثورة. ومن بين تلك الأسماء جاء اسم عبد العزيز على الذى كان رغم انتمائه الظاهر للحزب الوطنى القديم إلا أنه كان على علاقة حميمة جداً بالأستاذ حسن البنا ، وقد اتهم عبد العزيز على مع الإخوان المسلمين مرتين نظراً لتلك الصلة الوثيقة التى كانت تربطه بهم . وقد اختاره جمال عبد الناصر وزيراً فى أول وزارة يشكلها بعد قيام الثورة .

نظرة ثاقبة

وكان عبد الناصر أثناء مشاركته فى حرب فلسطين قد اكتشف عدداً من الحركات السرية التى يموج بها الجيش المصرى .. ولم تكن أى منها تعلم بحقيقة الحركات الأخرى أو اتجاهاتها أو أعضائها ، ولكن جمال عبد الناصر الذى كان قائداً متميزاً ، علم بوجود تنظيم شيوعى فى الجيش يقوده يوسف صديق ، وتنظيم وطنى آخر يقوده الضابط أحمد شوقى ، بالإضافة إلى عدد آخر من التنظيمات السرية التى كان يعج بها الجيش فى تلك المرحلة التى سادها القلق والترقب قبل قيام الثورة .

وبعد عودته إلى مصر من حرب فلسطين ، وعلمه بما جاء فى وصية حسن البنا من أنه يرشحه لتولى المسئولية فى حركة الإخوان المسلمين بعد غيابه هو وعبد الرحمن السندى ، كان عليه أن يجتمع

بالضابطين الآخرين اللذين حضرا معه البيعة لحسن البنا ، ليشاورهم فى الأمر ، وهما عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحى ، وأطلعهما على ما جاء فى الوصية ، خاصة ما جاء فيها متعلقا بضرورة الإسراع للقيام بحركة التغيير ، وقال لهما جمال عبد الناصر يومها إنه لا سبيل أمامهم للإسراع بحركة التغيير إلا بالتلاحم مع الحركات السرية الأخرى داخل صفوف الجيش ، فالمهمة أثقل من أن يتحملها تنظيم واحد وهى أكبر من قدرة أى تنظيم على حده ، بينما لو استطاعوا التوحد والاندماج فى التنظيمات الأخرى امكنهم القيام بالمهمة بنجاح وعلى وجه السرعة ، على أن يكون زمام الأمور بأيدينا .

وقد وافق أبو المكارم عبد الحى على ما قاله عبد الناصر ، أما عبد المنعم عبد الرؤوف فقد رفض ذلك قائلاً أنه لا يمكن أن يضع يده إلا فى أيد «متوضئة» وأنه أقسم يمين الولاء للعمل للمصحف ، وأنه لا يمكن الوصول إلى الغاية النبيلة إلا بالوسيلة النبيلة .. وبالتالى فإنه لن يضع يده فى أيد الشيوعيين أو غيرهم ممن لا ينتمون إلى الإخوان المسلمين .

حاول عبد الناصر جاهداً إقناع عبد المنعم عبد الرؤوف بوجهة نظره ولكنه حين فشل فى ذلك قال له: إذا اعتزلتنا فلا تكن ضدنا .. وإذا عملنا عملاً واحتجناك فيه فساعدنا . فوعده بذلك ، وافترقوا على هذا الوعد والاتفاق .

وعلى إثر ذلك شرع عبد الناصر فى بناء تنظيم الضباط الأحرار ، الذى كان يضم فى الواقع أكثر من تنظيم سرى ، وأكثر من اتجاه سياسى وعقائدى . وكان ذلك فى عام ١٩٤٩ ، وهو التاريخ الصحيح لبداية تنظيم الضباط الأحرار .

أما قبل هذا التاريخ فلم يكن هناك تنظيم اسمه الضباط الأحرار ، بل كان عدداً من التنظيمات السرية الصغيرة التى يجهل كل منها حقيقة الآخرين، وقد اندمجت جميعها فى تنظيم واحد هو الذى عرف تاريخياً باسم تنظيم «الضباط الأحرار» وهو – كما نرى – اسم محايد يتسع لمختلف الاتجاهات والميول السياسية والعقائدية ، ففيه الإخوانى وفيه الماركسى ، وفيه الآخرون من غير المنتمين لأى من الاتجاهات السياسية المطروحة فى ذلك الوقت وإن كان شغلهم الأول هو قضية الوطن .



٢

الدمرداش :

الورشة السرية

رفضت المضيبى

متى *بدأ تنظيم الضباط الأحرار وماهو تاريخ ميلاده الصحيح ..؟*

لقد حاول الكثيرون الإجابة عن هذا السؤال، فقال بعضهم أنه ولد فى أعقاب حادث ٤ فبراير الشهير وكرد فعل مباشر له، وقال آخرون أنه بدأ فى أعقاب نكبة ١٩٤٨ وكنتيجة حتمية لها.

أما المستشار الدمرداش العقالى فيؤكد أن تنظيم الضباط الأحرار ولد عام ١٩٤٩ أى قبل قيا الثورة بثلاث سنوات تقريباً وأنه ولد على يد جمال عبد الناصر الإبن الشرعى لتنظيم الإخوا المسلمين، وتنفيذا لوصية المرشد العام حسن البنا له ولكل قيادات التنظيم بضرورة الإسراع بقيا الثورة التى قدر البنا عام ١٩٥٥ موعداً لقيامها .

كما يؤكد الدمرداش العقالى أن جمال عبد الناصر الذى آلت إليه قيادة الإخوان المسلمين بعد مقتل حسن البنا ودخول عبد الرحمن السندى المعتقل ، هو عبد الناصر الذى شرع فى تشكيل تنظي الضباط الأحرار داخل الجيش مؤلفاً من عدة تنظيمات وخلايا سرية أخرى بالإضافة إلى الضباط الذي كان يضمهم تنظيم الإخوان المسلمين ، وذلك لأن جمال عبد الناصر - كما يؤكد المستشار العقالى - كان مقتنعاً أن الثورة التى يخطط للقيام بها أكبر من أن يضطلع بها تنظيم واحد مهما بلغت قوته وأن مهمة التغيير التى يسعى إليها أخطر من قدرة أى تنظيم على حده .

ولكن عبد المنعم عبد الرؤوف ، أحد زملاء عبد الناصر فى تنظيم الإخوان المسلمين ، رفض فكر عبد الناصر بضرورة التوسع فى التنظيم الثورى وفتح أبوابه أمام عناصر أخرى من غير المؤمنين بفكر «الحل الإسلامى» على طريقة الإخوان المسلمين . فماذا كان موقف عبد الناصر إزاء هذا الرفض .. ؟

يقول المستشار الدمرداش العقالى :

- طلب جمال عبد الناصر من زميله عبد الرؤوف ألا يكون ضدهم فى تنفيذ فكرتهم بضم عناص أخرى إلى التنظيم الثورى من ذوى الميول السياسية الأخرى كالماركسيين أو غيرهم . ثم إذا جد الجد وقامت الثورة ورأت قيادتها دعوة عبد المنعم عبد الرؤوف للمشاركة فيها، فلا مانع . وقد وافق عبد المنعم على شروط عبد الناصر، وقرر اعتزال التنظيم الجديد - الضباط الأحرار - مفضلاً الترقب مـ بعيد .

بين الوفد الإخوان

فى يوم ٣ يناير ١٩٥٠ أجريت الإنتخابات البرلمانية فى مصر ، وهى آخر انتخابات أجريت فى عهد فاروق ، وقد نجح فيها حزب الوفد نجاحاً ساحقاً بعد أن حصل على ٨٧٪ من عدد المقاعد التى جرت الانتخابات عليها ، وقد أثارت هذه الأغلبية الكاسحة الرعب فى نفس فاروق الذى كان عدا الشديد للوفد أمراً لا يقوى على إخفائه .. فجمع مجلس البلاط الذى كان فاروق يستشيره فى أمو الخاصة حين تشتد به الأزمات ، وكان مجلس بلاطه مكوناً من ناظر الخاصة الملكية محمد نجيب سا باشا ، ومحمد العشماوى باشا وزير المعارف الأسبق وهو معلم فاروق والذى أشرف على تعليمه حـ كان يتلقاه فى مدارس لندن وجامعاتها ، أما الثالث فهو رجل الدين البارز محمد عبد اللطيف درا وكان وكيلاً للأزهر كما كان قطباً من أقطاب الحزب «السعدى» المناوئ لحزب الوفد . هذا الثالوث هـ الذى كان سبباً فى نكبة مصر فى ذلك الوقت .. كيف .. ؟

حيث اشتكى لهم الملك مخاوفه من مجيء الوفد إلى الحكم ، اقترح عليه محمد عبد اللطيف دراز والعشماوى ونجيب سالم أن يعيد الإخوان المسلمين إلى الساحة ليحدث التوازن مع الوفد ، وبهذا نرى أن عملية التوازن فى الشارع السياسى بين شد وجذب التى لجأ إليها السادات فى آخر أيامه ، كان فاروق قد سبقه إليها حين أعاد الإخوان المسلمين إلى الساحة السياسية ليوازن بهم الوفد بعد نجاحه فى آخر انتخابات برلمانية أجريت فى عهده .

الباقورى والإخوان

قلنا إن مجلس البلاط الملكى اقترح على فاروق إعادة الإخوان ليسحبوا الشعبية من حزب الوفد، لأنهم ، كما أكدوا له ، الوحيدون القادرون على ذلك بما لهم من شعبية كاسحة تعادل إن لم تزد على شعبية الوفد .

اندهش فاروق لدى سماعه اقتراح مجلس البلاط بإعادة الإخوان والسماح لهم بالعمل، خاصة وأن فاروق هو الذى كان قد دبر وأمر باغتيال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، ومن هنا كانت دهشته وهو يستمع لاقتراح مجلس البلاط. فقد استبعد فاروق أن يؤازره الإخوان، وهو قاتل مرشدهم، فى موقفه ضد حزب الوفد، ولكن مجلس بلاطه أكد له أن جماعة الإخوان قد ربيت على السمع والطاعة للمرشد العام لجماعتها، فإذا نجحوا فى تعيين مرشد جديد للإخوان المسلمين يدين بالولاء للملك، فإنهم يكونون بذلك قد نجحوا فى استيعاب الإخوان المسلمين والاتجاه بحركتهم إلى صف الملك.

انبرى الشيخ عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر ومستشار الملك وعضو مجلس البلاط قائلاً أنه لديه المرشد الذى يدين لجلالة الملك بالولاء الشديد ، وحين سأله عن اسم المرشح لزعامة الإخوان قال له دراز: إنه الشيخ أحمد حسن الباقورى ..!

كان الباقورى زوج ابنة عبد اللطيف دراز وهو وكيل المرشد العام السابق المرحوم حسن البنا ، أى أنه يقف بإحدى قدميه فى الإخوان المسلمين وبالأخرى فى البلاط الملكى ..!

وبالرغم من أن الباقورى كان وكيلاً للمرشد العام حسن البنا ، إلا أنه لم يكن يعلم شيئاً عن الأمور الخاصة للتنظيم ، وأهمها التنظيم الخاص أو الجهاز السرى ، فالباقورى كان وكيلاً لصاحب «المعرض» أما «الورشة» - أو الجهاز الخاص - والتى تكمن فيها القوة الحقيقية للإخوان المسلمين فلم يكن للباقورى أى علم بما يدور فيها . ومن هنا كان الشيخ الباقورى شديد النقمة على المرشد العام حسن البنا ، لأنه أخفى عنه «جبل الثلج» الذى لم يكن الباقورى يرى منه غير قمته الطافية فوق السطح فقط ، أما قاعدته الكبيرة التى يرتكز عليها فى قاع المحيط ، فلم يكن البنا يسمح لأحد غيره بالاقتراب منها والإطلاع عليها .

وحين اكتشف الباقورى وجود هذا التنظيم الخاص وأدرك حجم قوته ، استشاط غضباً من حسن

البنا حين استشعر أن البنا كان يستغله أو لا يمنحه الثقة التى كان يرى أنه جدير بها كوكيل له .

وكان الشيخ عبد اللطيف دراز - ولا شك - يعلم بالمشاعر غير الودية التى كان يكنها الشيخ الباقورى لحسن البنا نتيجة لذلك ، ومن هنا كان يرى أن اختياره للباقورى ، ليحل محل البنا فى زعامة الإخوان هو الاختيار الموفق الذى يضمن به تحويل الإخوان المسلمين إلى جماعة مؤيدة ومستأنسة، على خلاف ما كانت عليه فى عهد زعيمها السابق حسن البنا .

لم يكن الباقورى من القيادات الإخوانية التى شملتها عملية الاعتقال الأخيرة ، وحين استدعاه الشيخ دراز ليعرض عليه زعامة الإخوان طلب الباقورى مهلة من الوقت يستكشف خلالها رأى مكتب الإرشاد فى أمر ترشيحه زعيماً للإخوان .

وكان مكتب الإرشاد مكوناً من عدد من أقطاب الإخوان منهم الشيخ الغزالى- أمد الله فى عمره - وعبد الرحمن البنا شقيق حسن البنا، وصالح عشماوى، وكان هؤلاء الثلاثة أبرز الأعضاء فى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين وكانوا جميعهم معتقلين فى معتقل «الهايكستب» شرق القاهرة .

وحين ذهب إليهم الباقورى ليسألهم رأيهم فى تعيينه مرشداً عاماً للإخوان ، خاصة وأنه وكيل المرشد العام ، فقال له الغزالى : إننا لا نستطيع أن نأكل عيش السراى ..!

ومعروف أن «عيش السراى» هو نوع من الحلويات ، وقد أرادها الغزالى كناية واضحة عن علاقة الباقورى بالسراى أو الملك فاروق ..!

وقد فهم الباقورى ما كان يرمى إليه الشيخ الغزالى من وراء عبارته ، وأيقن أنه لا قبل له بمعاداة مكتب الإرشاد أو «رجال المعرض» حتى لا يفقدهم ، خاصة وأنه فاقد فعلاً «لرجال الورشة» التى لا يعلم عنها شيئاً .

لهذا رأى الباقورى أنه ليس من مصلحته أن يفعل شيئاً ينتقل به إلى صفوف الأعداء فى مواجهة الإخوان المسلمين . فذهب إلى الشيخ دراز ليقول أنه لا يستطيع أن يرأس الإخوان على غير رغبة من رجال مكتب الإرشاد . ولكنه قدم بدلاً منه رجلاً آخر ليقوم بهذه المهمة «وهو لا يقل عنى ولاء» لجلالة الملك ، كما قال الباقورى .

الهضيبى رجل الملك

وكان المرشح الجديد هو المستشار حسن الهضيبى الذى لم يكن عضواً فى جماعة الإخوان حتى ذلك الوقت ، وإنما كانت تربطه علاقة طيبة بمرشدها العام المرحوم حسن البنا .

وكان مأمون الهضيبى، المتحدث الرسمى باسم الإخوان الآن، وابن حسن الهضيبى . متزوجاً بابنة محمد نجيب باشا سالم ناظر الخاصة الملكية ، أى أن لهم قدماً فى البلاط الملكى . وتبقى الأخرى طليقة انتظاراً لوضعها على أرض الإخوان المسلمين ..!

حين سمع محمد نجيب باشا سالم بترشيح الباقورى للمستشار حسن الهضيبى ليكون مرشداً عاماً للإخوان المسلمين ، قال نجيب باشا أن الهضيبى ليس موالياً فقط للملك فاروق ، بل كان موالياً أيضاً لأبيه الملك فؤاد الذى يدين له الهضيبى بتعيينه قاضياً بعد أن كان محامياً .

حينما جرت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٢٤ - فى عهد الملك فؤاد - نجح فيها عدد كبير من القضاة ، فانتقلوا نواباً بمجلس النواب ، وخلت بذلك أماكنهم فى السلك القضائى ، فأراد سعد زغلول زعيم حزب الوفد ورئيس الحكومة فى ذلك الوقت ، أن يعين عدداً من القضاة بدلاً من القضاة الذين نجحوا كنواب فى البرلمان ، ولكن الملك فؤاد رأى أن تعيين القضاة حق له وحده ، بصفته رئيساً للسلطات الثلاث بما فيها السلطة القضائية . وحدثت أزمة بين فؤاد وسعد زغلول ، حين رأى كل منهما أن له الحق فى تعيين القضاة ، وبتدخل الوسطاء من أهل الخير تنازل سعد زغلول للملك فؤاد . فأصدر فؤاد مرسوماً ملكياً بتعيين عدد من المحامين كقضاة بعدد الذين خلت دوائرهم ، وكان حسن الهضيبى واحداً من هؤلاء الذى شملهم المرسوم الملكى لفؤاد ، فأصبح قاضياً بأمر من الملك فؤاد بعد أن كان محامياً . ولهذا ظل الهضيبى يدين بالولاء للملك فؤاد حتى وفاته ، ثم أصبح ولاؤه لابنه الملك فاروق من بعده .

المؤامرة المحبوكة

وبعد أن حكى نجيب باشا ناظر الخاصة الملكية هذه القصة عن صهره حسن الهضيبى استحسن الملك فاروق الاقتراح بترشيحه زعيماً جديداً للإخوان المسلمين ، ورأى أنه الشخص المناسب الذى يمكن أن يقود قاطرة الإخوان ليقف بها فى محطة القصر الملكى ..!

بعد أن لقى المستشار حسن الهضيبى الموافقة المطلوبة ، تكفل الشيخ أحمد حسن الباقورى بترويجه فى سوق الإخوان المسلمين غير المعتقلين . فكان الباقورى يأتى إلى الإخوان المسلمين من كبار السن فيقول لهم إن حوادث القتل والإرهاب أحدثت فزعاً فى نفوس المواطنين وأوجدت الخوف والرعب لدى الناس من الإخوان المسلمين ، وأصبح لزاماً علينا الآن أن نختار قيادة مسالمة ذكية وقورة ، إلى آخر الصفات التى يمكن أن تنطبق على حسن الهضيبى ، الذى كان الباقورى يطرح اسمه بعد أن يجد الموافقة لدى هؤلاء على فكرته .

أما آباء المعتقلين من شباب الإخوان فكان الباقورى يأتى إليهم ويقول لهم أن ابنا ءهم لن يخرجوا من معتقلات الحكومة إلا إذا جاء المستشار حسن الهضيبى زعيماً للإخوان، فهو على علاقة طيبة بالملك والقصر كما أنه على علاقة طيبة بالإخوان، ولهذا فهو الوحيد الذى يمكنه من عقد المصالحة بين الحكومة والإخوان والتى فى إطارها يمكن أن تفرج الحكومة عن المعتقلين فى السجون من شباب الإخوان .

واستطاع الباقورى ، وفقاً لهذا المنطق التصالحى والمصلحى أن يحصل على موافقة أولئك الآباء

الذين كان يضنيهم كثيراً وجود أبنائهم فى المعتقلات انتظاراً للمصير المجهول .

كذلك طرح الباقورى فى إطار خطته لترويج المستشار حسن الهضيبى فى أوساط الإخوان . فكرة أن وجود رجل قانون مثل المستشار حسن الهضيبى على رأس الإخوان المسلمين ، سوف يكون عاملاً مهماً فى إزاحة ما علق فى أذهان الناس من وصف الإخ ان بالإرهاب والخروج على القانون ، بعد أن أصبح زعيمهم ومفكرهم وقائدهم رجل قانون ومستشاراً فى الهيئة القضائية .

وأخيراً .. نجح الباقورى فى إقناع غالبية الإخوان الذين كانوا قد عانوا الكثير فى المعتقلات من جراء حوادث القتل والعنف ، كما عانوا من الإجراءات التعسفية التى قامت بها الحكومة حيالهم بعد تلك الحوادث ، فراحت نفوسهم اليائسة والتعبة تبحث لها عن مخرج من هذه الأزمة التى طال مكوثهم فيها نتيجة للعنف والعنف المضاد بينهم وبين الحكومة .. وأخيراً وجدوا هذا المخرج لهم من أزمتهم لطاحنة فى الفكرة التى كان يروج لها الشيخ الباقورى بدأب وذكاء ، وهى تعيين المستشار حسن لهضيبى زعيماً للإخوان المسلمين .

الورشة ترفض

استطاع الشيخ الباقورى أن يعقد البيعة للمستشار الهضيبى ، من بعض «رجال المعرض» ، أما «رجال الورشة» السريين وهم عصب الإخوان وقوتهم ، فقد رفضوا مبايعة الهضيبى أو أى أحد غيره ، وقد أصدر زعيمهم عبد الرحمن السندى ، من معتقله تعليماته المشددة إلى أعضاء جهازه الخاص بأن يتجنبوا الدخول فى لعبة اختيار مرشد جديد للإخوان قبل أن يسمح للجماعة بممارسة نشاطها شرعى، وكان الهدف من ذلك كما هو واضح فى رأى عبد الرحمن السندى ، هو ألا يكون المعتقل ورقة للضغط على الإخوان ليقبلوا بالبيعة للمرشد الجديد .

والأكثر من ذلك أن عبد الرحمن السندى أكد لأعضاء جهازه الخاص أن المرشح الجديد حسن الهضيبى ما هو إلا عميل لفاروق .. وقد أكد الهضيبى نفسه هذا المعنى حين قابل فاروق بعد حصوله على مبايعة الإخوان له ، وخرج من تلك المقابلة ليصفها للصحفيين بأنها «مقابلة كريمة من ملك كريم».. وقد نشرت جميع الصحف الصادرة فى يناير ١٩٥١ هذا التصريح الذى أكد فيه الهضيبى ولاءه للملك فاروق دون موارية أو تردد .

وقد بكى كثير من أعضاء الجهاز الخاص لدى سماعهم لتصريح الهضيبى الذى أثنى فيه على الملك فاروق .. وقالوا : لقد قتل فاروق مرشدنا ، ليصطنع لنا مرشداً من عنده ..!

ساعة الصفر

لم يشأ الجهاز الخاص وأعضاؤه فى ظل هذه الظروف أن يفجروا الخلاف حتى لا ينكشف أمرهم ،

وكان الجهاز السرى ، حتى ذلك الوقت ، مجرد عفريت يسمع الناس عنه ولا يرونه . وظلت قواعده تتداول المعلومة القائلة بأن حسن الهضيبى هو رجل فاروق .. إلى أن جاء موعد قيام الثورة ، وكان آخر اجتماع تمهيدى قبل قيام الثورة ، عقده جمال عبد الناصر فى بيت عبد الرحمن السندى قائد التنظيم السرى أو الجهاز الخاص للإخوان المسلمين ، وكان ذلك يوم ١٧ يوليو ١٩٥٢ .

وكان الاجتماع بعيداً عن أعين الضباط الأحرار ، لوضع اللمسات الأخيرة على سيناريو التحرك ليلة الثورة ، وما يجب عمله لنجاحها .

بين الثورة .. والحركة

وقد ناقش السندى وعبد الناصر فى هذا الاجتماع كل شىء بالتفصيل ، حتى الاسم . وحينما جاء الوقت لمناقشة اسم العملية طرح عبد الناصر اسم «الثورة المباركة» ولكن السندى خالفه فى ذلك معترضاً ، وطلب تسميتها بـ«الحركة المباركة» لأن الحس الإسلامى لا يستريح لكلمة ثورة التى لازمت جماعة الخوارج الشهيرة طوال تاريخهم .

الثورة إخوانية

ومن ضمن ما أكده عبد الرحمن السندى فى هذا الاجتماع مع عبد الناصر ، هو أن تتسم أول قرارات الحركة المباركة بالانحياز إلى الإخوان المسلمين فى بعض القضايا المعلقة ، مثل الإفراج الفورى عن جميع المعتقلين من الإخوان المسلمين ، واستثناء المعتقلين الشيوعيين والماركسيين من قرار الإفراج.. والقبض على ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء السابق وتقديمه إل المحاكمة بتهمة التدبير لقتل حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين . وفى المقابل يصدر القرار الفورى بالإفراج عن أعضاء الإخوان المتهمين بقتل محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء الأسبق الذى قتله الإخوان .

وكان من شأن هذه القرارات ، كما رأى عبد الرحمن السندى ، وصدورها كأول قرارات للحركة الجديدة أن تشعر الرأى العام فى مصر والعالم أن الحركة الجديدة تنتمى بشكل واضح إلى جماعة الإخوان المسلمين .

وفضلاً عن ذلك كله ، طلب عبد الرحمن السندى من جمال عبد الناصر فى حال نجاح الثورة وانتقال السلطة إلى يدها ، أن يصدر أمراً باعتقال حسن الهضيبى ، ضمن من سوف تصدر الأوامر باعتقالهم من رؤساء الأحزاب والسياسيين .

ولكن رؤية عبد الناصر لهذا الأمر كانت أكثر نفاذاً من رؤية السندى ، حين قال عبد الناصر له معترضاً أن مياهاً كثيرة قد تدفقت فى النهر ، وكان عبد الناصر يقصد بذلك تلك الألوف الكثيرة التى انضمت إلى حركة الإخوان على إثر حرب فلسطين ، ولم يكن لتلك الأعداد الكبيرة أية علاقة أو علم بالجهاز الخاص ، ولا ولاء لها إلا للمرشد المعلن ، فهى تنتمى «للمعرض» ورئيسه ، ولا علاقة

لها «بالورشة» وما يحدث فيها .

وأضاف عبد الناصر توضيحاً لرأيه أن حسن الهضيبى قد نجح فى استقطاب أعداد كبيرة من صفوف الإخوان الذين انضموا حديثاً إلى الإخوان ، خاصة بعد أن رأوا الحكومة تغض الطرف عن نشاطهم المعلن ، وأن الهضيبى يستقبل المئات منهم فى المسجد المواجه لبيته فى «الروضة» .

وقد رأى عبد الناصر أن القبض على حسن الهضيبى سوف يفسد الانطباع لدى الرأى العام أن الحركة الثورية الجديدة هى حركة الإخوان المسلمين .. وكان رأى عبد الناصر بذلك هو الأصوب من رأى عبد الرحمن السندى الذى لم يكن يرى فى تلك اللحظه غير تصفية حساباته مع فاروق قاتل الشيخ البنا . وذلك فى شخص حسن الهضيبى .

ooo

٣

عبد الناصر يرفض اعتقال الهضيبى

هل *كانت ثورة ٢٣ يوليو ثورة إسلامية أم إخوانية ؟ يؤكد المستشار الدمرداش العقالى - أحد أبرز أعضاء الجهاز السرى للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت - أن الإجابة عن ذلك السؤال هى نعم .. لقد كانت ثورة إسلامية . !*

ويقول العقالى أن ثورة ٢٣ يوليو حاولت ومنذ اللحظة الأولى لميلادها أن تؤكد وجهها الإسلامى.. وذلك عبر أول قرارات صدرت عن قيادتها ، وكانت تلك القرارات هى آخر ما تم الاتفاق عليه بين عبد الناصر والقيادة الشرعية لحركة الإخوان المسلمين - عبد الرحمن السندى - وذلك فى الاجتماع الذى ضمهما يوم ١٧ يوليو .. أى قبل قيام الثورة بخمسة أيام فقط .

وقد ذهب عبد الناصر إلى الاجتماع مع السندى ليضع معه اللمسات الأخيرة للتحركات المقررة ليلة الثورة .. والقرارات التى ينبغى إصدارها للإعلان عن الوجه الحقيقى لها .. وهو الوجه الإسلامى الذى تم الاتفاق عليه ، والذى كانت ملامحه تتمثل فى ضرورة أن تصدر قيادة الثورة - أول ما تصدر من قرارات - قراراً بالإفراج عن جميع المعتقلين من الإخوان المسلمين ومن بينهم قتلة النقراشى باشا رئيس وزراء مصر الأسبق ، كما تصدر قراراً باعتقال إبراهيم عبد الهادى وهو رئيس الوزراء الذى نكل بالإخوان وملأ بهم السجون والمعتقلات .. وتأكيداً لوجه الثورة الإسلامى اتفق عبد الناصر والسندى على إطلاق اسم «الحركة المباركة» على عملية التغيير بدلاً من تعبير «الثورة» .

ولم يكن هناك محل للخلاف بين عبد الناصر والسندى على كل النقاط السابقة ، ولكن بدأ الخلاف حينما طرح السندى مسألة القبض على المستشار الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين والذى كان فاروق قد نجح فى توصيله إلى هذا المنصب على غير رغبة عبد الرحمن السندى الذى كان يعتبر نفسه القائد الشرعى لحركة الإخوان بعد اغتيال حسن البنا .

وكان رأى عبد الناصر أن قراراً تصدره الثورة باعتقال زعيم الإخوان سوف يمحو الانطباع الذى تركته القرارات السابقة فى أذهان الجماهير والذى يطبع الثورة بالطابع الإسلامى الواضح .. وكان ذلك أول الخلافات بين عبد الناصر والقيادة الشرعية لحركة الإخوان .

ولكن عبد الرحمن السندى - وأمام هذا المنطق القوى الذى أبداه عبد الناصر بشأن عملية اعتقال الهضيبى - لم يجد أمامه غير الخضوع لجمال عبد الناصر ولكن بشرط .. هو تأجيل اعتقال حسن الهضيبى انتظاراً لموقفه من القرارات الخاصة بالإفراج عن قيادات الإخوان المسلمين وأعضاء التنظيم.. خاصة المتهمين منهم باغتيال النقراشى..وقال السندى إذا وافق الهضيبى على تلك القرارات وباركها يبقى حراً دون اعتقال..أما إذا هاجمها ، وهنا قال له عبد الناصر «سوف أعتقله فوراً» فوافق السندى.

شرعية الثورة

وفى يوم ١٩ يوليو - يقول العقالى - أى بعد اجتماع السندى وعبد الناصر بيومين ، وقبل قيام الثورة ، صدرت إلينا الأوامر - نحن أعضاء الجهاز السرى الذين لم يشملهم أمر الاعتقال ، لعدم انكشاف سرنا - بالتوجه فوراً إلى قرى الاسماعيلية الملاصقة لمعسكرات الإنجليز فى منطقة القناة ،

واحتلال الطريق ، وكل الطرق المؤدية إلى مدينة القاهرة ، ولم نكن نعلم بالسر من وراء ذلك التحرك المفاجئ ، وذهب تفكيرنا إلى أنه ربما قررت قيادتنا إعادة ما كان يعرف باسم «كتائب القناة» وهذه الكتائب التى كانت تنتمى إلى الإخوان وتقوم ببعض الأعمال الفدائية ضد المعسكرات الإنجليزية بمنطقة القناة ولكنها توقفت عن عملها إثر حريق القاهرة ، والأحداث التى تلته .

ولكن بعد قيام الثورة ونجاحها فى الاستيلاء على السلطة بالبلاد عدنا إلى القاهرة ليخبرنا عبد الرحمن السندى بأن ذهابنا إلى القناة بهدف تأمين الثورة ضد القوات الإنجليزية فيما لو تحركت لإجهاض الثورة والدفاع عن الملك .. وأخبرنا السندى أن ذلك كان باقتراح عبد الناصر فى إطار احتياطاته لتأمين الثورة .. وكان عبد الناصر قد قال للسندى إنه لو تحركت القوات البريطانية نحو القاهرة للتصدى لقوات الثورة ، فسوف نشتبك معها ، ولكن المعركة فى هذه الحالة سوف تكون فى نظر العالم بين جيش وجيش ، وربما نجح الإنجليز عبر جهازهم الإعلامى الواسع فى تصوير الثورة على أنها مجرد تمرد فى صفوف القوات المصرية ضد نظام الحكم ، وبالتالى فإن هذا التمرد يفتقد إلى الشرعية . وإن تحرك القوات البريطانية للدفاع عن الملك سوف يبدو فى نظر العالم على أنه دفاع عن الشرعية والدستور . ضد حركة تفتقد إلى الشرعية وتخرق الدستور .

من هنا كان إصرار عبد الناصر على ضرورة إشراك الشعب بمختلف طوائفه ضد تحرك القوات البريطانية - أو حتى قوات الملك - فيما لو تحركت تصدياً للثورة . وقد جاء تحركنا إلى منطقة القناة لتحقيق هذا الهدف . انتظاراً للأوامر ليس فقط بالاشتباك مع القوات البريطانية المتحركة من قواعدها بالقناة فى اتجاه القاهرة ، بل وتأليب الجماهير على تلك القوات لإظهار الثورة فى إطار شعبى لا يفتقد إلى الشرعية .

وقامت الثورة ولاقت من التأييد الشعبى ما لم يكن فى حسبان أى ممن خططوا لها ، وأوفى عبد الناصر بكل التعهدات التى قطعها على نفسه أمام عبد الرحمن السندى ، فأفرج عن جميع المعتقلين من الإخوان بمن فيهم قتلة النقراشى ، كما أصدر أوامره باعتقال إبراهيم عبد الهادى وأدخله السجن.. إلى آخر ما تم الاتفاق عليه بين عبد الناصر وعبد الرحمن السندى .

الهضيبى يرفض

ولكن ما إن صدرت تلك القرارات حتى هاج حسن الهضيبى وملأ الدنيا ضجيجاً .. رفضاً لقرارات الإفراج عن الإخوان بحجة أنهم إرهابيون وقتلة وسفاكو دماء وأن ذلك ليس من الإسلام الذى يدعو إلى الله «بالحكمة والموعظة الحسنة» .. كما قال حسن الهضيبى مبرراً رفضه لقرارات الثورة بالإفراج عن الإخوان المسلمين .

عند ذلك ذهب عبد الرحمن السندى إلى جمال عبد الناصر ليطالبه بالوفاء بوعده الذى كان قد قطعه على نفسه بالقبض على حسن الهضيبى إذا ما هاجم قرارات الثورة بالإفراج عن الإخوان

المسلمين .. ولكن عبد الناصر رفض فخرج السندى من عنده غاضباً .

قرر عبد الناصر - الذى كان وزيراً للداخلية فى ذلك الوقت - الاجتماع بالقواعد الطلابية لتنظيم الإخوان المسلمين ليشرح لهم أسباب الخلاف بينه وبين السندى حول مسألة اعتقال الهضيبى .

كنت يومها طالباً بكلية الحقوق فى جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة الآن - وكنت وكيلاً لرئيس اتحاد طلابها ، فذهبنا للإجتماع بعبد الناصر الذى أخذ يشرح لنا كيف أن اعتقال الهضيبى الآن سوف يثير الكثير من المشاكل والمعوقات فى طريق الثورة الوليدة .. وقال عبد الناصر إن الثورة أعدت مشروعاً لقانون الإصلاح الزراعى ، تنوى إصداره خلال أيام ، فإذا أصدر أمراً باعتقال الهضيبى الآن لفقد تأييد الإخوان للثورة ، وهو التأييد الذى تحتاجه الثورة لمواجهة الآثار المحتملة لصدور قانون الإصلاح الزراعى فى أوساط الإقطاعيين والطبقات الغنية والرأسمالية ، وإذا فقدت الثورة تأييد الإخوان لها فسوف ينضمون - بطبيعة الحال - إلى صفوف الإقطاعيين فى تحالف مضاد ليست لدى الثورة الوليدة القدرة على مواجهته .. ولهذا فإنه يرفض اعتقال الهضيبى وإثارة الإخوان ضده .. وإن ذلك ليس أكثر من خطوة تكتيكية ولا تعنى أكثر من ذلك .. وإنه مضطر لاحتمال الهضيبى وهجومه على الثورة لهذا السبب وحده ، كما أنه لا يريد أن يفقد تأييد قواعد الإخوان للثورة بعد أن فقدت تأييد قادتها .

وقال عبد الناصر أنه سوف يؤجل قراره باعتقال الهضيبى حتى صدور قرارات الإصلاح الزراعى ، فإذا عارضها الهضيبى عندئذ لا بد من اعتقاله .

وقد صدرت قرارات الإصلاح الزراعى بالفعل فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، أى بعد قيام الثورة بشهر ونصف تقريباً ، وما كاد الهضيبى يسمع بها حتى ثار ضدها رافضاً .

المواجهة إخوانية ..إخوانية !

وهنا ذهب عبد الرحمن السندى إلى جمال عبد الناصر ليطلب منه اعتقال الهضيبى للمرة الثالثة ، وربما الرابعة ، ولكن عبد الناصر رفض أيضاً كما رفض فى المرات السابقة ، فقال له عبد الرحمن السندى إننى أتهمك باللعب على الخلاف بين قيادات الإخوان تمهيداً لتصفية الحركة كلها ، لحسابك الخاص ، فإما أن تعطى وفاءك للدعوة التى أمثل أنا قيادتها كما جاء فى وصية حسن البنا فتنفذ أوامرى فيما اتفقنا عليه معاً ، وإلا كان لك خبئ آخر تنوى القيام به لحسابك وبعيداً عن حركة الإخوان وقيادتها الشرعية .

لم يغضب عبد الناصر لدى سماعه لتلك الاتهامات الصريحة التى ألقاها فى وجهه عبد الرحمن السندى ، ولكنه تضاحك معه ، وأخذ يهدئ من روعه ثم قال له :

لماذا تطالبنى أنا بالقضاء على الهضيبى ، وتحملنى مسئولية دمه أمام الإخوان فى الحركة ؟ ولماذا

لا تقومون أنتم – فى الجهاز السرى – باتخاذ القرار وتنفيذه بتصفية حسن الهضيبى .. بعيداً عنى ، ويعلن الإخوان أنهم صححوا وضعهم بأيديهم ، وأنا من جانبى سأقر هذا التصحيح .

ابتلع عبد الرحمن السندى الطعم الذى وضعه له جمال عبد الناصر ، فأرسل فى يناير ١٩٥٣ مجموعة من الجهاز الخاص ، اقتحمت منزل الهضيبى بعد صلاة الجمعة – وكنت أنا واحداً من تلك المجموعة – وطلبنا منه أن يستقيل ، وقال له المتحدث باسم الجماعة محمود فرغل – رحمه الله – لست مرشدنا ولا نحن اخترناك ، وجئنا نطلب منك أن تحل عنا بالحسنى .

كان محمود فرغل أحد المشاركين فى قتل محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء الأسبق ، ودخل المعتقل ليمضى فترة العقوبة حتى أفرجت عنه الثورة ضمن من أفرجت عنهم من الإخوان المسلمين فى أول القرارات التى صدرت عنها .. وهو القرار الذى أثار حفيظة حسن الهضيبى وأخذ يهاجمه ، فكان محمود فرغل أكثر الحانقين على الهضيبى بسبب مهاجمته لقرار الإفراج عنه هو وزملائه من قتلة النقراشى باشا .

وحين ذهب فرغل على رأس المجموعة من الجهاز الخاص إلى بيت الهضيبى .. ارتعد الأخير خوفاً ورعباً ، ووعد بتقديم استقالته فوراً نزولاً على رغبة الجهاز الخاص ، واستأذننا فى الدخول إلى غرفة المكتب ليحضر ورقة وقلماً ليكتب استقالته .

دخل الهضيبى إلى إحدى غرف بيته ، وطال انتظارنا ، حتى فوجئنا بدخوله علينا ومعه قوة من جنود الشرطة على رأسها أحد الضباط .. وأشار الهضيبى إلينا قائلاً:«هؤلاء هم يا حضرة الضابط».

تظاهر الهضيبى بإحضار ورقة وقلم حين دخل إحدى الغرف ببيته ، ولكنه كان ينوى الهرب من الباب الخلفى لمنزله ليستعين بالشرطة فى التخلص منا .. وكانت نقطة الشرطة مجاورة لبيته بالروضة ولا تبعد عنه سوى بضعة أمتار فقط .

فشلنا مع الهضيبى

يبدو أن ضابط الشرطة الذى استعان به الهضيبى للقبض علينا لم يكن يعرف الهضيبى ، لم تكن أجهزة الإعلام فى ذلك الوقت بمثل هذا الانتشار الواسع الذى هى عليه الآن ، وقد فهمنا ذلك حين بادرنا سائلاً :

«ماذا تريدون من هذا الرجل ولماذا تتهجمون عليه فى بيته» ؟

فأجبناه نحن بسؤال جماعى :«هل تعرف هذا الرجل ومن يكون ؟»

قال الضابط : إنه مواطن ولا يهمنى أن أعرف من هو ؟

قلنا له : إنه المرشد العام للإخوان المسلمين !.

يبدو أن الضابط قد فوجئ فسكت قليلاً ثم قال : ولو .. لماذا جئتم إلى بيته ؟ .

قلنا له : لأننا نحن الإخوان المسلمين !!

سكت الضابط .. وأخذ يتفرس فى وجوهنا مندهشاً ، ثم كان علينا أن نزيل إحساسه بالحرج والدهشة فقلنا له : على أية حال .. إذا كان هو لا يريدنا فى بيته ، فقد جئنا إليه لنقول له إننا لا نريده فى بيتنا . لم يجد الضابط ما يفعله معنا .. فخرج وتركنا مع الهضيبى الذى طالبنا بالخروج لأننا غير مخولين بقبول استقالته ، فخرجنا ونحن نتوعده .

كنا قد اتفقنا مع عبد الرحمن السندى على أننا سوف نحصل من الهضيبى على الاستقالة ونذهب بها إليه فى مقر المركز العام «بالحلمية» ليعقد مؤتمراً عاماً يعلن فيه استقالة حسن الهضيبى من رئاسة الإخوان المسلمين .. ولكنا ذهبنا إلى مقر الحلمية نجر أذيال خيبتنا بعد أن فشلنا فى الحصول على الاستقالة ، واجتمع بنا عبد الرحمن السندى وأخذنا نتدارس الموقف من جميع جوانبه وماذا علينا أن نفعل بعد فشلنا فى إقالة الهضيبى .

حل علينا الليل ونحن فى نقاش لا ينتهى مع عبد الرحمن السندى ، وإذا بنا نفاجأ بجموع تسد جميع الشوارع المؤدية إلى المركز العام للإخوان المسلمين بحى الحلمية ، وتعالت هتافاتهم تطالب بإهدار دمنا .

فقد وجدنا أنفسنا محاصرين بتلك الجموع الكبيرة التى تطالب بقتلنا ، ولم نكن ندرى ماذا نفعل وكيف نتصرف إزاء هذا الموقف العصيب ، ولكن عبد الرحمن السندى بحسه السرى والعسكرى ، كان قد تحسب لهذا الأمر جيداً ، حين فكر فى احتمال فشلنا فى الحصول على الاستقالة ، ورد فعل الهضيبى إزاء مطالبتنا له بالاستقالة .

كان السندى قد أعد العدة لمثل هذا الموقف المحتمل ، فأمر مجموعة من أنصاره بحمل المدافع الرشاشة واحتلال سطح المبنى المقابل لمبنى المركز العام وكان مخصصاً لجريدة الإخوان .. حتى إذا نجح الهضيبى فى تأليب أنصاره وتحريكهم ضدنا ، تعامل معهم أنصارنا من حملة المدافع .

وحتى لا تقع مذبحة لا نريدها ، أمسك عبد الرحمن السندى «بميكرفون» وأخذ يطالب الجموع التى حشدها الهضيبى ضدنا بالابتعاد والتفرق وإلا فسوف تحصدهم المدافع من فوق أسطح المنازل .. عندئذ تفرق البعض مؤثراً السلامة ، وبقى الكثيرون منهم ليطلقوا الهتافات ضدنا .. وأخذنا فى التراشق بالهتافات ، نحن من نوافذ مبنى المركز العام .. وهم بالشارع ، حتى كانت الساعة الواحدة ليلاً ، حينما فوجئنا بدخول ثلاثة رجال علينا مخترقين الحصار المضروب حولنا .

عبد الناصر المنقذ

كان هؤلاء الثلاثة هم : جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وعبد العزيز كامل الذى كان عضو مكتب الإرشاد بالإخوان المسلمين وكانت تربطه علاقة وثيقة بجمال عبد الناصر لم نكن نعلم من أمرها شيئاً .. وقد تبين لنا فيما بعد أن الذى كان ينصح عبد الناصر بعدم اعتقال الهضيبى كما

نصحه بعدم التمادى فى توطيد العلاقة مع عبد الرحمن السندى ، سر عبد العزيز كامل ..

دخل عبد الناصر إلى حيث يجلس عبد الرحمن السندى وقال له : يا أخ عبد الرحمن .. ألم أقل لك إن النهر قد جرت فيه مياه كثيرة ؟ هذه هى الجموع التى لم أكن أريد معاداتها للثورة ، أو معاداة الثورة لها ، ولكنك لم تكن تريد أن تصدقنى .

قال عبد الرحمن السندى معك حق .. قالها وطأطأ رأسه متحاشياً النظر فى عينى عبد الناصر الذى كان يبدو ساعتها منتشياً بصدق رؤيته للأمور .

وبدأ عبد العزيز كامل فى الكلام فقال : يا أخ عبد الرحمن : إن ترتيب بيتنا من الداخل كان يقتضى مهادنة حسن الهضيبى ، ولكنكم أنتم الذى ربيتم له أنياباً وأطلتم له أظفاره ، وجعلتم أصحاب المصلحة فى معاداة الثورة يلتفون حوله وإن كانوا من غير الإخوان .

على إثر ذلك ، استقرت الأوضاع لصالح الهضيبى الذى خرج من المحنة أقوى مما كان قبلها ، فقد أخذ الانطباع مما جرى له فى الأيام الأخيرة ، بأنه أقوى من أن يقاوم ، وقد ساعده ذلك على مزيد من التعنت فى وجه عبد الناصر وقطع الطريق على كل محاولات التفاهم أو الالتقاء التى كان يمكن أن تحدث بينه وبين جمال عبد الناصر ، مما سارع فى دفع الأمور بينهما إلى التصادم .

الضربة الأخيرة

لقد أدرك الهضيبى أنه فى سباق مع الزمن ، فلابد أن يستغل هذا النصر الذى حققه فى أول موقعة له مع الجهاز السرى ، فى تجريد ذلك الجهاز الجبار من بقية أسلحته ، كما أدرك أيضاً أنه له من الجماهيرية ما يساعده على الوقوف فى وجه الثورة وإملاء شروطه عليها دون أن يخضع هو لشرط من شروطها .

أصدر الهضيبى قراراً بفصل جميع الإخوان الأعضاء بالجهاز السرى وكل المتعاطفين معهم مثل الشيخ الغزالى وصالح عشماوى وأحمد عادل كمال وأحمد زكى حسن ، وقد رد الغزالى على قرار الهضيبى بكتابة عدة مقالات اتهم فيها حسن الهضيبى صراحة «بالماسونية» .. وقال إن حركة الماسونية العالمية نجحت فى زرع الهضيبى وتنصيبه مرشداً عاماً للإخوان المسلمين .

أما عبد الرحمن السندى فقد أصابه الإحباط ، فقرر التوارى والإنزواء جانباً ، وقد بدأ عبد الناصر فى الإحساس بأن هناك قوى أخرى فى الشعب المصرى يحظى بتأييدها ، بعيداً عن الإخوان المسلمين ، وأن تلك القوى الشعبية تدين له بالولاء لما قدمه لها من مكاسب خاصة فى صفوف العمال والفلاحين، وقد تساعده تلك القوى الشعبية فى التخلص من ربقة الإخوان المسلمين وحرصه الدؤوب على إرضائها، فهى قوى تحمله ولا يحملها كما هو الحال مع الإخوان المسلمين الذين كان يشعر معهم بأنه مطالب بدفع فواتير المشاركة وتقديم الحسابات مقابل التأييد .. أما تأييد القوى الجديدة له فكان تأييداً بلا ثمن .. أو حسابات أو فواتير مطالب بسدادها أولاً بأول .

وكان عبد الناصر هو صاحب الفضل مع مؤيديه من القوى الجديدة .. بعكس القوى القديمة المؤيدة له من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشعرون بأنهم هم أصحاب الفضل عليه وليس هو .

فى هذا الوقت الذى شعر فيه كل من حسن الهضيبى .. وجمال عبد الناصر بقوته وجماهيريته ، كان لا بد أن يقع الصدام بينهما .. وقد كان صداماً مروعاً أشبه ما يكون بالصدام بين نجمين أو نيزكين من نيازك الفضاء !



٤

الهضيبى ينشئ جهازه السرى الخاص

بعد أن فشل أعضاء الجهاز السرى فى إقصاء الهضيبى عن زعامة الإخوان ، عبر معركة اشترك فيها أعضاء الطرفين مستخدمين كافة أنواع الأسلحة مشروعة وغير مشروعة خرج الهضيبى شاعراً بقوته .. بل وأدركه الإنطباع بأنه أقوى من أن يقاوم .. وقد منحه ذلك الشعور الثقة فى نفسه فى مواجهة عبد الناصر الذى كان يمتلك السلطة فى يده بينما كان الهضيبى قد ملأه الشعور بأن يمتلك ناصية الشارع ، والذى به يمكن أن يحصل من عبد الناصر على مزيد من المكاسب والتنازلات لحسابه.

وعلى الطرف الآخر .. كان عبد الناصر قد بدأ يشعر هو الآخر بمزيد من القوة والثقة بعد أن سخر السلطة التى انتزع ناصيتها من يد فاروق لإصدار عدد من القرارات التى تتسم بالجماهيرية مثل الإصلاح الزراعى، وحقوق العمال والإفراج عن المعتقلين، وحملة التطهير ضد الفساد ورموزه ..كما إنه شرع فى الدخول فى مفاوضات جادة مع الإنجليز لإنهاء احتلالهم لمصر الذى دام أكثر من سبعين عاماً.

وقد كان لذلك كله أثره الكبير فى تحقيق الشعبية اللازمة للثورة ورجلها الأول جمال عبد الناصر.. الذى بدأ يشعر هو الآخر بأنه يمتلك فى الشارع السياسى نصيباً لا يقل عن نصيب الإخوان إن لم يزد.

الهضيبى يستعد

ويقول الدمرداش العقالى : إنه فى اللحظة التى بات كل من الهضيبى وعبد الناصر يشعر فيها بقوته .. كان الصدام واقعاً بينهما لا محالة .

وقد بدأ الهضيبى فى إعداد العدة استعداداً للحظة الاشتباك ، فأصدر أوامره بفصل جميع أعضاء الجهاز السرى من التنظيم الخاص ، والذى كان بزعامة خصمه اللدود عبد الرحمن السندى ، ثم راح يشكل جهازه السرى الخاص الذى عهد به إلى يوسف طلعت .. وهو الذى راح ينتقى العناصر الموالية للزعيم حسن الهضيبى ، بصرف النظر عن كون تلك العناصر تتمتع بالسرية المطلوبة من قبل تلك التنظيمات مما أعطى الانطباع بأن الهضيبى يسعى لتكوين ميليشيا خاصة لتدافع عنه ، ويهاجم بها ولتحقيق بعض المآرب السياسية الخاصة وليس الغرض من تشكيلها خدمة الدعوة كما كان الأمر فى السابق حين فكر حسن البنا فى إنشاء ذلك الجهاز .

كان التنظيم السرى الجديد الذى عمل الهضيبى على تشكيله أداة «للصدام» وليس أداة «للدعوة» ، وقد فرضت الظروف المحيطة فى ذلك الوقت هذا الهدف على زعيم الإخوان فرضاً، فقد كانت ظروفاً صدامية تمتلئ بالصراعات والمشاكل .. سواء كانت بين الإخوان والإخوان ، أو بين الإخوان وعبد الناصر .

والغريب هنا أن يلجأ الهضيبى إلى تشكيل الجهاز السرى وهو الذى كان فى حربه ضد عبد الرحمن السندى لا يجد ما يبرر به طلبه لحل هذا الجهاز غير شعار «لا سرية فى الإسلام» .. ولكن مع توالى الأحداث وتشابكها كان يستحيل على الهضيبى أن يضمن سرية التشكيل لهذا الجهاز الجديد ، فهى ظروف متسارعة لا يمكن معها العناية بالتربية الفردية للأعضاء كما كان يحدث فى أيام الأستاذ حسن البنا .. إنما العناية فقط فى التحقق من الولاء للأستاذ الهضيبى ، وبالتالى فإن الولاء فى التنظيم الجديد كان للهضيبى شخصياً وليس للدعوة كما كانت الحال أيام البنا .

وقد ساعدت تلك الظروف على تسرب عدد غير قليل من أعضاء الجهاز القديم إلى تشكيلات

الجهاز الجديد ، بما فى ذلك يوسف طلعت نفسه رئيس الجهاز الذى كان عضواً بارزاً فى الجهاز القديم برئاسة عبد الرحمن السندى .. وقد شرع يوسف طلعت - مستفيداً من خبرته السابقة - فى تشكيل الخلايا بالقرى والمدن والمحافظات ، ومنها خلية امبابه برئاسة المحامى هنداوى سيد أحمد دوير ، وهى الخلية التى قدر لها أن تلعب الدور الأكبر فى الصراع بين عبد الناصر والإخوان حينما وصل الصدام بينهما إلى قمته الدراماتيكية .

الصدام مبكراً

وحينما علم عبد الناصر بمحاولة الهضيبى إعادة بناء الجهاز السرى ليكون أداته فى الصراع بين الثورة والإخوان ، حاول من جانبه وأد تلك المحاولة بأن بدأ الاشتباك مبكراً قبل أن ينجح الهضيبى فى استكمال بناء جهازه السرى ، ليقضى على تلك المحاولة فى مهدها .

انتظر عبد الناصر الفرصة المناسبة لبدء الهجوم حتى جاءته يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ ، وهو اليوم الذى كان مقرراً لإقامة احتفال بجامعة القاهرة بذكرى الشهداء من طلاب الجامعة .. وفى هذا الاحتفال بدأ الطلاب المنتمون للجهاز السرى للإخوان فى الاشتباك مع الطلاب المنتمين لهيئة التحرير وهو أول التنظيمات السياسية التى أقامتها الثورة، وقام الطلبة الإخوان بحرق سيارة جيب عسكرية فى حرم الجامعة .

أدرك عبد الناصر أن الهضيبى بدأ يستعرض قوته الجديدة ، متعجلاً الاشتباك مع الثورة لإرهابها.. حتى لا تفكر فى التعرض للجهاز الجديد قبل أن ينجح فى بنائه كاملاً .. ولكن عبد الناصر الذى لم تكن ترهبه مثل تلك المحاولات قبل التحدى مقرراً حل جماعة الإخوان المسلمين.

وفى أعقاب ذلك أراد عبد الناصر - الذى تفتقت عبقريته السياسية مبكراً - أن يشعر القيادات القديمة للإخوان المسلمين ، والشارع السياسى المصرى أنه فى صراع فقط مع قيادة الهضيبى ، وليس مع الإسلام .. أى أن صراعه مع الإخوان صراع سياسى وليس صراعاً دينياً ، فتوجه بعد أيام من إصداره لقرار حل جماعة الإخوان المسلمين إلى قبر حسن البنا ، وفى رفقته عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وفى مشهد تاريخى وقف عبد الناصر أمام القبر ليخطب مناشداً قواعد الإخوان ، أنه لم يكن أبداً نقيضاً للإسلام وليس لديه ما يدعو إليه غيره ، وأنه جندى مخلص من كتائب الدعوة الإسلامية ، والنهوض بأوطانه .

وقد كان عبد القادر عودة ، القطب الإخوانى البارز ، وعبد الرحمن البنا ، شقيق حسن البنا فى استقبال عبد الناصر عند وصوله إلى القبر ، وبعد أن ألقى عبد الناصر كلمته ، رد عليه عبد الرحمن البنا قائلاً : إن مجيئك هنا يؤكد زعامتك لهذه الأمة وانتماءك الصحيح لدينها الحنيف ، وإخلاصك غير المنقوص للدعوة إليه ، وطلب عبد الرحمن البنا من جمال عبد الناصر أن يفرج عن الإخوان المعتقلين الذين كانت قد مضت أيام على اعتقالهم فى أحداث جامعة القاهرة .

وقد نجح عبد الناصر بحنكته السياسية التى دفعته لاتخاذ تلك الخطوة فى سحب البساط من تحت أقدام خصمه حسن الهضيبى . فقد لاقت كلمته المؤثرة التى ألقاها على قبر البنا استحسان الكثيرين من قواعد الإخوان وقيادتهم ، وخففت فى نفوسهم الأثر السيىء الذى أحدث قراره بحل الجماعة .

الإخوان مطلوبون

وفى أواخر فبراير من نفس العام ١٩٥٤ اشتدت وطأة الصراع بين عبد الناصر ومحمد نجيب داخل مجلس قيادة الثورة للأسباب التى يعلمها الجميع .. وقد حاول كل منهما أن يستقطب الإخوان إلى جانبه . فقام عبد الناصر باتخاذ قرار مفاجئ للجميع ، بأن أفرج عن جميع الإخوان المعتقلين بمن فيهم حسن الهضيبى خصمه اللدود . وزاد المفاجأة وقعاً بأن توجه فى مساء نفس يوم الإفراج إلى منزل الهضيبى ليزوره ويطيب خاطره ، ولكن الهضيبى قابل هذه المبادرة باستعلاء وعجرفة تجلت واضحة فى لحظة مغادرة عبد الناصر لبيت الهضيبى الذى لم يكلف نفسه بمصاحبة عبد الناصر حتى باب الخروج من المنزل .

وجاءت أحداث ٢٥ مارس التى عرفت فى التاريخ باسم «أزمة مارس» والتى اشتد فيها الصراع بين عبد الناصر ومحمد نجيب والتى لعب فيها الإخوان دوراً مؤثراً ، وهنا يجب التوقف قليلاً عند علاقة عبد الناصر بالمرحوم عبد القادر عودة الذى تسبب إعدامه مع آخرين فى تعقيد الموقف بين عبد الناصر والإخوان .

لقد كانت العلاقة بين عبد القادر عودة وعبد الناصر حسنة جداً ، حتى أنها لم تتأثر باشتداد الخصومة والصراع بين عبد الناصر والهضيبى ، وحينما أصدر عبد الناصر قراره باعتقال قيادات الإخوان كان عبد القادر عودة هو الوحيد من بينهم جميعاً الذى استثنى من قرار الاعتقال ، بل وسمح له بزيارة السجن الحربى حيث كان الإخوان يمضون فترة الاعتقال .

وكان عودة يحاول جاهداً خلال زيارته تلك التقريب بين قيادات الإخوان وعبد الناصر سعياً لعقد المصالحة بين الجانبين .. وكان يقول - ويكرر - إنه لا يوجد مبرر للصدام مع عبد الناصر أو الثورة ، قد يوجد مبرر للخلاف ولكنه لا يرقى إلى مستوى الصدام ، خاصة وأن كل القرارات التى اتخذها عبد الناصر حتى الآن لها ما يسندها فى الشريعة الإسلامية .

هذا هو رأى عبد القادر عودة الذى كان يجاهر به فى وجوه الإخوان فى ذلك الوقت، فما الذى حدث إذن حتى ما كاد ينتهى عام ٥٤ حتى كان عبد القادر عودة معلقاً على أعواد المشانق بأمر عبد الناصر .

مؤامرة شيوعية

كان الشيوعيون فى ذلك الوقت يحاولون الإيقاع بين عبد الناصر والإخوان . وفى الصراع المحتدم

بين الطرفين - عبد الناصر والإخوان - أخذ الشيوعيون جانب الإخوان ضد عبد الناصر .

نجح الشيوعيون فى تنظيم مظاهرة طلابية كبيرة خرجت من جامعة القاهرة متجهة إلى قصر عابدين، وقد أطلق الشيوعيون - بخبث - بعض الشعارات الإسلامية لاستقطاب قواعد الإخوان فى هذه المظاهرة، وكانت تلك الشعارات تطرح بالتدريج إلى أن وصلوا إلى ميدان التحرير كانت الشعارات «إسلامية - قرآنية» .. وحين وصلوا إلى ميدان عابدين بدأت الهتافات فى الهجوم على عبد الناصر .

لقد خرجت تلك المظاهرة الحاشدة بعد أيام فقط من قرار عبد الناصر بالإفراج عن الإخوان المسلمين، والتى كان عبد الناصر يتصور أنه بمجرد صدوره فسوف تتم المصالحة بينه وبين الإخوان المسلمين، ثم إنه توجه - فى إشارة واضحة - إلى بيت الهضيبى لتطييب خاطره، وإن كان اللقاء الذى تم بينهما قد جاء فاتراً، إلا أنه لم يكن يستوجب مثل هذا التصعيد وهذه الدرجة من تسخين الأجواء وتسميمها.

وقد زاد الأمر تداعياً أن أحد الإخوان البلهاء السذج - وفى الإخوان كثيرون من هذا الطراز - توجه إلى عبد القادر عودة بمكتبه بميدان الأوبرا وكان معه إبراهيم الطيب ، وقد حاول ذلك الإخوانى استغلال خصومة كانت واضحة بين عودة والهضيبى حين عزله الهضيبى من منصب وكيل الجماعة وجاء مكانه برجل آخر هو محمد خميس حميده ، مما ترك أثراً سيئاً فى نفس عبد القادر عودة تجاه المرشد العام حسن الهضيبى .

كانت الخصومة بين عودة والهضيبى أمراً معروفاً لكل إخوانى ، فجاء هذا الأخ إلى عبد القادر عودة ليقول له : من الذى أمر بتحريك هذه المظاهرة الضخمة أمام قصر عابدين ؟ وكان عبد القادر عودة لايعلم شيئاً من أمر هذه المظاهرة ، فكان طبيعياً أن يسأل محدثه : أية مظاهرة تقصد ؟

قال الرجل بخبث : أليس لك علم بها .. كيف وأنت القيادى الإخوانى البارز ؟ أيقن أن خصمه الهضيبى هو الذى قام بتحريك تلك المظاهرة فأراد أن يفسد عليه الطبخة ، وفى نفس الوقت لم يكن عودة يريد - مخلصاً - تفاقم الخصومة بين الإخوان وعبد الناصر ، فقرر التوجه فوراً إلى ميدان عابدين القريب من مكتبه ليقود المظاهرة بنفسه ويوجهها بعيداً عن الهجوم على الثورة وعبد الناصر .

وما أن وصل عودة إلى مكان المظاهرة حتى رآه بعض الشيوعيين الخبثاء ، فرفعوه على الأعناق عنوة ، وقد كان عودة رجلاً عاطفياً جياشاً وتعالت الهتافات الشيوعية الخبيث «الله اكبر ولله الحمد» ثم وضعوا فى أيديه وهو على أعناقهم قميصاً ملوثاً بدم أحد القتيلين ، الذين كانا قد سقطا برصاص الجيش أثناء تصديه للمظاهرة عند كوبرى قصر النيل ، وهى فى طريقها إلى قصر عابدين .. وقالوا لعودة إن عشرات القتلى قد سقطوا على كوبرى قصر النيل ، فاهتزت عاطفته أمام منظر الدم وعدد القتلى الذين سقطوا كما جاء على ألسنتهم كذباً .

وفى هذه الأثناء ظهر فى شرفة القصر عبد الناصر ومعه عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة،

فرأوا عبد القادر عودة وهو يلوح بالقميص الملوث بالدم وهو يهتف «هذا عمل المفسدين .. هذا عمل المجرمين» !!

ظن عبد الناصر أن عبد القادر قد تحول عن تأييده له ، وأنه هو الذى دبر هذه المظاهرة ، ومع ذلك أراد أن يتحقق بنفسه من حقيقة الموقف ، وحينما وصل عودة اقترب منه عبد الناصر مصافحاً فأبى أن يصافح عبد الناصر معتقداً أن المظاهرة للإخوان المسلمين ، وأن القتلى الذى سقطوا كانوا منهم ، وأنهم قتلوا بأمر من جمال عبد الناصر ، وفى نفس الوقت رأى عبد القادر عودة أنه أصبح الآن فى الموقف الذى يسمح له بكسب تأييد الإخوان وثقتهم على حساب خصمه اللدود حسن الهضيبى ، وأنه برفضه السلام على عبد الناصر أمام هذه الحشود الكبيرة التى كان يعتقد أنه من الإخوان المسلمين ، سوف تعطيه ورقة يلعب بها مع الهضيبى على زعامة الإخوان وقيادتهم ، فوقف فى شرفة قصر عابدين على مقربة من عبد الناصر ليخطب فى المتظاهرين ، خطبة حماسية انتهت بأن طلب منهم الانصراف .. فانصرفوا طائعين ! وحينما رأى عبد الناصر المتظاهرين وهم ينصرفون صاغرين بمجرد أن طلب منهم عبد القادر عودة ذلك ازداد اعتقاده بأنه هو الذى دبر تلك المظاهرة ووجهها للهتاف ضده وضد الثورة فأسرها فى نفسه .

حسابات الأضداد

وبمجرد أن تخلص جمال عبد الناصر من محمد نجيب استدار بوجهه ليصفى حساباته مع الإخوان الذين ساندوا نجيب وتحالفوا معه ، والحقيقة أن محمد نجيب ، وقبل أن يشتد صراعه حدة مع عبد الناصر - أرسل رسله للإتصال بالإخوان طلباً للتأييد والعون ولكن الإخوان رفضوا الوقوف مع نجيب ليس حباً فى عبد الناصر - بطبيعة الحال - أو خوفاً منه فقد كانت تقديراتهم للموقف تقول بأنهم لو تركوا عبد الناصر ونجيب يتصارعان بقواهما الذاتية دون معاونة منهم لأى من الطرفين ، فإنهما سوف ينتهيان بالفناء معاً بما يفتح الطريق لهم هم لكى يتقدموا فيه دون مزاحمة أما إذا قدموا مساعدتهم لأى من الطرفين فسوف يقوى موقفه بهم فيخرج منتصراً ليستدير عليهم فى نهاية الأمر .. ولهذا أصدر الهضيبى تعليماته للإخوان بأنه لا شأن لنا بالصراع الدائر بين «العسكر» .

أما عبد الناصر فقد دخل الصراع مع نجيب وعينه لا تزال على الإخوان المسلمين ، مقدراً أنه إذا لم يتمكن من استمالتهم إلى جانبه ، فلا أقل من أن يحيدهم ، أو يحيد بعضهم على الأقل ، فتوجه بالحوار مع قطب إخوانى كبير كان لا يزال يثق به ، وهو الشيخ محمد فرغلى ، وهو واحد من مؤسسى جماعة الإخوان فى مدينة الإسماعيلية ، كما حارب فى فلسطين ، وهناك تعرف على عبد الناصر .

ميثاق البندين

التقى عبد الناصر والشيخ فرغلى ونجح فى إقناعه بأنه لا مبرر للصراع بين الإخوان والثورة ، وإن

المصلحة الوطنية والدينية تقتضى أن تتم مراجعة للعلاقة بينهما وأن يتجاوز كل منهما عن أى تجاوز حدث من أحدهما فى حق الآخر ، ويعقدا ميثاقاً من بندين .. أولهما أن يقر الإخوان بشرعية الثورة فى أن تحكم مصر لمدة خمس سنوات لا تسأل فيها قيادة الثورة عما تقوم به خلال هذه السنوات الخمس ، كما لو كانت تفويضاً شعبياً مدته خمس سنوات ، وفى مقابل ذلك أن تطلق الثورة يد الإخوان فى تربية الشباب على الإسلام دون أن يتطرقوا إلى السياسة فى نفس المدة التى اتفقوا عليها. على أن يجرى الحساب بين الطرفين فى نهاية المدة المتفق عليها .. فاقتنع محمد فرغلى ببنود هذا الاتفاق ووقع مع جمال عبد الناصر على وثيقة مكتوبة تتضمن ما تم الاتفاق عليه تفصيلياً .. وطلب عبد الناصر من الشيخ فرغلى أن يحصل على توقيع بقية أعضاء مكتب الإرشاد ومعهم الهضيبى على وثيقة الاتفاق ، فوعده فرغلى بذلك .

وفكر عبد الناصر - بحنكته السياسية المعروفة - أن أعضاء مكتب الإرشاد سوف يرفضون التوقيع على الوثيقة فيكون الشيخ فرغلى شاهداً عليهم ، وربما حدث انقسام نتيجة لذلك فى صفوف القيادة الإخوانية ، أما إذا وافق الجميع على التوقيع على الوثيقة فسيكون عبد الناصر قد ضمن - على الأقل - حياد الإخوان أو فترة من الهدنة معهم تسمح له بالتفرغ لصراعاته الأخرى .. وهى كثيرة.

بقى عبد الناصر منتظراً الشيخ فرغلى ليأتيه بالتوقيع على وثيقة الاتفاق ، ولكنه فوجئ باختفاء قيادات الإخوان وعلى رأسهم المستشار الهضيبى ، فلم يكن أى منهم فى بيته ، كما لم يظهر فى أى مكان آخر مما اعتاد الظهور فيه .

وحينما علم عبد الناصر بأمر اختفائهم جميعاً ، ارتاب فى الأمر ، ولم يجد ما يفعله غير الانتظار.. متربصاً .

ولما جاء اكتوبر من عام ١٩٥٤ ، اكتشف عبد الناصر أن هناك بعض الفلول فى صفوف الجيش والتى لا يزال ولاؤها لمحمد نجيب كانت تدبر للقيام بحركة عسكرية بالتعاون مع الإخوان المسلمين بزعامة حسن الهضيبى .. ولولا اختفاء الهضيبى فجأة لما تمكنت أجهزة عبد الناصر من اكتشاف أمر تلك المحاولة ، فقد أيقن عبد الناصر أن اختفاء الهضيبى وجماعته فجأة ما كان إلا لتدبير أمر له . فجد فى البحث عن ذلك الأمر مستنفراً كل أجهزته حتى تمكن من اكتشاف تلك المحاولة الانقلابية .

وكان الهضيبى قد أصدر أوامره لجميع الأعضاء بجماعته بأنهم لا شأن لهم بما يحدث من صراعات بين العسكريين خاصة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، وحين وصلت تلك التعليمات إلى هنداوى دوير رئيس الجهاز السرى بامبابه بدأ فى حسبة فردية يجريها لحسابه الخاص ، وكانت تلك الحسبة تتلخص فيما حدث فى ميدان المنشية بالاسكندرية وهو ما عرف باسم «حادث المنشية» الذى تعرض فيه جمال عبد الناصر للإغتيال على يد محمود عبد اللطيف أحد أعضاء الجهاز السرى لتنظيم الإخوان المسلمين .

وتقول الحكومة أن عملية الاغتيال كانت بتدبير مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان خاصة عبد القادر عودة وحسن الهضيبى..وهذا ليس صحيحاً.. بينما يقول الإخوان أنها مجرد تمثيلية أخرجتها الحكومة لتكون مبرراً للقضاء على الإخوان المسلمين.. وهذا أيضاً ليس صحيحاً..فقد كان حادث المنشية حادثاً فعلياً واقعياً وحقيقياً تعرض فيه جمال عبد الناصر لمحاولة الاغتيال الفعلى على يد أحد أعضاء الجهاز السرى للإخوان، ولكن دون علم قيادات الإخوان التى تحملت مسئولية ما حدث، والحقيقة أن المسئولية فى ذلك كانت تقع على هنداوى دوير رئيس الجهاز السرى للإخوان فى امبابه .



٥

هـــذه هــى حقــائــق حادث المنشية

كلما *اقترب عبد الناصر من الإخـوان خطـوة ، ابتعد الإخـوان عنـه خطـوتين ، ومـع كـل مـحـاولة كـان يقوم بها عبد الناصر للوصول إلى حل لصراعه مع الإخوان ، كـانت تقابلها محاولات من جانبهم لتعقيد المسألة أكثر .*

فقد رأينا كيف أنه بعد يومين فقط من قراره بالإفراج عنهم ، استجابوا لدعوة الشيوعيين للقيام بمظاهرة ضده وضد الثورة . وفى الوقت الذى كان يتقرب فيه من عبد القادر عودة وفرغلى وآخرين ، كان هؤلاء جميعاً يعملون لحسابهم الخاص . وفى إطار طموحاتهم الشخصية . وبينما كان عبد الناصر يراهن على اقترابه من الإخوان ، كان الإخوان يراهنون على صدامهم معه ، فكان عبد الناصر يرى أن اقترابه من الإخوان واقتراب الإخوان منه سوف يساعد على حل صراعاته على الجبهات الأخرى داخل مجلس قيادة الثورة وخارجه ، بينما كان الإخوان يرون أنه بتصادمهم مع عبد الناصر - ولو افتعالاً - سوف يعملون على حل صراعاتهم مع بعضهم البعض . فالمكسب فى نظر أى منهم كان يقاس ببعد المسافة بينه وبين عبد الناصر، بينما كان عبد الناصر يرى مكسبه بقرب المسافة بينه وبينهم .

ولعل أصدق دليل على ذلك ما حدث فى ميدان المنشية فيما عرف باسم «حادث المنشية» الذى جرت فيه محاولة اغتيال عبد الناصر بالرصاص على يد محمود عبد اللطيف الذى جنده هنداوى دوير رئيس الجهاز السرى بامبابه لإتمام عملية الاغتيال لحسابه الخاص ، ومن وراء ظهر قيادة الإخوان ، حين رأى هنداوى أن كلاً منهم يعمل لحسابه الخاص لإزاحة الآخرين من طريقه ، فأراد هو أن يتقدم الجميع وعلى حسابهم بعملية يجريها لحسابه الخاص .

يروى المستشار الدمرداش العقالى حقيقة ما حدث فى ميدان المنشية .. وخلفياته التاريخية مزيحاً الستار لأول مرة عن بعض التفصيلات التى تساعد المؤرخين فى كشف حقيقة هذا الحادث الغامض الذى كان يمثل لغزاً محيراً لكل من الفريقين .. الإخوان وأنصارهم ، وعبد الناصر وأنصاره .

ويقول العقالى : إن الهنداوى دوير - وكان شاباً يعمل بالمحاماة - قد أدرك أن الإخوان لا يريدون مساعدة محمد نجيب فى صراعه مع عبد الناصر ، ففكر هو فى تقديم المساعدة له شخصياً حتى إذا خلصه من عبد الناصر تم حسم الصراع لصالح نجيب الذى لا بد أن يكافئ هنداوى لقاء ما قام به من خدمة جليلة .

تمثيلية واقعية

كان عبد الرحمن السندى - الزعيم القديم للجهاز السرى - يراقب الموقف من بعيد ، وكان له بعض الأنصار فى صفوف الجهاز السرى الجديد الذى قام الهضيبى بتشكيله عقب إزاحة السندى والتخلص منه ، وعن طريق هؤلاء الأنصار علم السندى بالمؤامرة التى يدبرها هنداوى دوير لاغتيال جمال عبد الناصر .

ويقول الإخوان فى تدليلهم على أن حادث المنشية كان مجرد تمثيلية دبرها جمال عبد الناصر للتخلص منهم، أن الرصاص الذى أطلقه الفاعل محمود عبد اللطيف كان «فشنك» فى الوقت الذى تمكنت فيه الرصاصة الأولى التى خرجت من مسدسه فى إزالة جزء كبير من المنصة الإسمنتية التى كان

يقف عليها جمال عبد الناصر بينما لم تتمكن رصاصة أخرى من الرصاصات التى أطلقت من إحداث نفس الأثر.مما يعنى أنها كانت رصاصات «فشنك» وأن الرصاصة الأولى فقط هى التى كانت حقيقية.

ويضيف الإخوان أن الاتفاق قد جرى بين أجهزة عبد الناصر التى دبرت التمثيلية وبين الفاعل على أن يطلق الرصاصة الأولى وهى حقيقية فى المنصة ثم يطلق بقية الرصاصات «الفشنك» على جمال عبد الناصر .

ولكن ذلك لم يحدث بطبيعة الحال ، والذى حدث أن عبد الرحمن السندى حين علم بمؤامرة هنداوى دوير بقتل عبد الناصر ، أراد أن يفشل المحاولة دون أن يعلم جمال عبد الناصر وذلك فى إطار حسابات دقيقة أجراها السندى فى ذلك الوقت ، فهو شديد الحرص على حياة عبد الناصر وبقائه على رأس السلطة ، إذ باغتياله سيقوى موقف الهضيبى الذى لا بد أن يستدير بعد ذلك ليفتح ملف الثورة من جديد ، خاصة أن العهد بقيامها لا يزال حديثاً ، فيصفى الجهاز السرى القديم بكل أعضائه وعلى رأسهم بطبيعة الحال عبد الرحمن السندى ، ومعه كل الذين شاركوا عبد الناصر فى التخطيط للثورة .

السندى يحبط المحاولة

أما لماذا لم يخطر عبد الرحمن السندى جمال عبد الناصر بالمحاولة عند علمه بها ، فذلك لأنه أراد أن تقع المحاولة فعلاً لتزيد من نقمة عبد الناصر على حسن الهضيبى فيقرر إعدامه ، وهو القرار القديم الذى ظل السندى يسعى لاستصداره ولكن عبد الناصر كان يرفض اتخاذه ، فمن ناحية أراد السندى أن تتم المحاولة ومن ناحية أخرى أراد أن تكون محاولة فاشلة للإبقاء على حياة عبد الناصر حماية له هو شخصياً .. فكيف يتحقق ذلك؟

لم يكن عبد الرحمن السندى مجرد عضو عادي فى التنظيم السرى ، وهو تنظيم عسكرى مسلح ، بل كان زعيمه ومؤسسه الذى يتمتع بخبرة كبيرة فى إطلاق النار وعلى دراية تامة بالحالة النفسية التى يكون عليها الشخص حين يشرع بإطلاق النار وسط الناس وفى الأماكن العامة .. وكان يعلم – كما قال لخاصته بعد الحادث – أنه يستحيل على هذا الشخص الذى يهم بإطلاق النار وسط الزحام مع حالة الخوف والرهبة ، أن يحكم التصويب من الطلقة الأولى ، ولكن يعود إلى التحكم فى تصويبه حينما يندمج بعد خروج الطلقة الأولى التى يقضى بها على حالة التردد والرهبة التى كانت تنتابه عند الاستعداد للضرب وإطلاق الرصاصة الأولى .. فيحكم التصويب فى الرصاصات التالية .

خبرة طويلة

كانت تلك هى قناعات عبد الرحمن السندى التى أدركها بالخبرة الطويلة فى مجال العمل

السرى والعسكرى ولهذا أرسل إلى محمود عبد اللطيف أحد أنصاره ليبيت معه فى الفندق الذى أمضى فيه الليلة السابقة على الحادث ، وهناك نجح فى حشو المسدس المستخدم برصاصة حقيقية واحدة هى الرصاصة الأولى التى قدر لها عبد الرحمن السندى أن «تطيش» . ثم أكمل بقية الخزنة برصاصات من النوع «الفشنك» وهى التى قدر السندى لها أن تكون محكمة التصويب .

وجاءت تقديرات عبد الرحمن السندى للموقف سليمة مائة بالمائة فخرجت الطلقة الأولى لتزيل جانباً من المنصة ، أما بقية الرصاصات فلم تحدث أى منها أى أثر بما يعنى أنها كانت رصاصات «فشنك» وذلك ما جعل الإخوان يقولون إنها تمثيلية ، ولم تكن كذلك أبداً . والذى رأى عبد الناصر أو حتى سمعه فى تلك اللحظة - لحظة إطلاق الرصاص عليه - يستحيل أن يصدق وجود ذرة واحدة من الشك فيما حدث ، فقد خرجت تعبيراته وكلماته عفوية وتلقائية لرجل تعرض للموت فعلاً وليس افتعالاً أو تظاهراً .

الجريمة والعقاب

وبعد انتهاء العملية اعتقد عبد الناصر أن وراءها عبد القادر عودة الذى كشف عن مشاعره الحقيقية تجاهه حين قاد مظاهرة ضده بعد يومين فقط من إفراج عبد الناصر عن المعتقلين من الإخوان بناء على طلب عبد القادر عودة نفسه ، فقد دخل فى روع عبد الناصر أن عودة كان يتقرب منه فقط بهدف الإفراج عن الإخوان ليكسب بذلك نقطة فى صراعه مع الهضيبى حول زعامة الإخوان بينما هو فى حقيقة الأمر لا يضمر له غير الشر والحقد .

أما الآخر الذى انصرف ذهن عبد الناصر إليه شريكاً فاعلاً فى عملية اغتياله فهو الشيخ محمد فرغلى الذى اعتقد عبد الناصر أنه وافقه على وثيقة الهدنة لمجرد أن يصرفه فقط عما يدبره له فى الخفاء .

ويقول الشيخ الباقورى فى مذكراته إنه بعد أن أصدرت محكمة الثورة أحكامها بإعدام الإخوان المتهمين بقتل عبد الناصر ، وجيء بالأحكام للتصديق عليها من المجلس المشترك بين مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء وهو المخول بالتصديق على الأحكام . قال جمال عبد الناصر إن الأحكام التى صدرت قد أحدثت أثرها ، لمجرد صدورها ولا أرى أى داع لتنفيذها .. إلا على محمود عبد اللطيف فقط والعفو عن الجميع ما عدا الفاعل الحقيقى .. وهو محمود عبد اللطيف .

ويقول الباقورى وقد كان حاضراً الاجتماع بصفته وزيراً للأوقاف ، إن جمال سالم ما إن سمع عبد الناصر يقول ذلك ، حتى تظاهر بالخروج إلى دورة المياه ثم عاد ليقف خلف جمال عبد الناصر واضعاً المسدس فى رأسه قائلاً له : انت بتعمل محكمة أحكم فيها أنا بالإعدام عليهم ثم تصدر أنت عفواً عنهم فتكون أنت ملاك الرحمة فى نظرهم وأكون أنا الشيطان

الذى يستحق القتل ؟!

ومضى جمال سالم فى تهديده لجمال عبد الناصر : إما أنك توقع على تنفيذ الحكم فوراً والآن ، وإما أن أقتلك فوراً والآن !!

تنفيذ الإعدام

كان جمال سالم قد اتفق مع أحمد أنور قائد السجن الحربى الذى أودع فيه المتهمون على أنه بمجرد سماع إذاعة خبر التصديق على الأحكام من الإذاعة ينفذ فى المتهمين حكم الإعدام فوراً ، كما اتفق مع أخيه صلاح سالم على إذاعة الخبر من الإذاعة فوراً .. وبقى الاجتماع منعقداً تحت تهديد جمال سالم حتى أذيع الخبر من الإذاعة وتم تنفيذ حكم الإعدام فى المتهمين رغم أنف جمال عبد الناصر وضد رغبته .

وقد تبين من التحقيقات التى أجرتها النيابة أن الهضيبى لم يكن له أى دخل فى عملية الاغتيال، ولكن رأت المحكمة أن عدم علمه لا يخلى مسئوليته عما حدث ، فهو المسئول الأول عن تنظيم حاول بعض أفراده اغتيال رئيس الجمهورية ، فتم تخفيف حكم الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة نظراً لكبر السن ، كما قالت المحكمة فى حيثياتها ، وكان الهضيبى فى ذلك الوقت قد وصل السبعين عاماً .

أما قول الإخوان بأن المسدس - أداة الجريمة - قد ضاع وأن وجوده ضرورى لتحقيق الجريمة ، فهو حجة واهية ، نظراً لأن الرصاصات قد أطلقت فعلاً وسمعها الجميع ، ولابد أنها أطلقت من مسدس . فالمهم هنا هو إطلاق الرصاص وليس المسدس الذى أطلقت به لأن العملية ليست مجرد شروع فى قتل بمسدس ضبط أو لم يضبط . المهم أن عبد الناصر لم يعتقل أحداً من الجهاز السرى الخاص القديم الذى كان قد تشكل فى عهد حسن البنا والذى كان برئاسة عبد الرحمن السندى ، لأن عبد الناصر كان يعلم أن قاعدة ذلك الجهاز سليمة وذلك بحكم معرفته القديمة التى استقاها من انتمائه له فترة طويلة واطلاعه على الكثير من أموره السرية والغامضة ، وكانت كل الاعتقالات التى تمت بعد حادث المنشية من أعضاء الجهاز السرى الجديد برئاسة يوسف طلعت والذى كان يدين بالولاء للمستشار حسن الهضيبى شخصياً .

أعود إلى تأكيد أن عبد الناصر كان إخوانياً خالصاً مخلصاً ، ولكن كونه إخوانياً ملتزماً لا ينفى أنه كان كإنسان يحرص على أن يوجد مركز قوة آمناً .

والمهم هنا أنه فى أعقاب حادث المنشية ، وكنتيجة مباشرة له ، ظفر عبد الناصر بالساحة المصرية منفرداً ثم تلاحقت الأحداث تدعمه وتعزز مركزه زعيماً وطنياً وعربياً وإسلامياً من طراز خاص ، وجاء تأميمه لقناة السويس وأحداث العدوان الثلاثى وخروجه منتصراً سياسياً ، لتساعد على ترسيخ مكانة عبد الناصر محلياً وعربياً وإسلامياً ، حتى جاءت الوحدة مع سوريا .

ولعل ما حدث فى أول زيارة له لسوريا يكفى لأى مؤرخ دقيق أن يقول : هاهو الإخوانى القديم ، بمجرد أن غادر الساحة المصرية التى عانى فيها من التناقض الإخوانى وجاء إلى ساحة جديدة برزت فيه إخوانيته فى التعامل مع ظروف الحركة فى سوريا بالدليل . وبمجرد أن وصل عبد الناصر إلى سوريا ، كان الموقف أمامه يتلخص فى أن الذين طالبوا بالوحدة وعملوا لها هم ضباط الجيش السورى وعلى رأسهم رئيس أركان الجيش عفيف البزرى وأكرم الحورانى وصلاح البيطار ، وهم يمثلون مختلف القوى السياسية على الساحة السورية ، ما عدا قوة واحدة لم تأت إلى القاهرة ، ولم تطالب بالوحدة مع عبد الناصر ، لأنها كانت تشعر أنها قوة نقيضة ، وهى قوة الإخوان المسلمين وعلى رأسها مصطفى السباعى المرشد العام فى سوريا .

وكان مصطفى السباعى قد أقام سوريا وأقعدها ضد عبد الناصر فى أعقاب حركة الإعدامات التى قام بها فى صفوف الإخوان المسلمين بمصر بعد حادث المنشية الشهير . وكان السباعى وقتها عضواً بمجلس النواب السورى . واستطاع أن يهيج المجلس كله ضد عبد الناصر فى ذلك الوقت فكان طبيعياً ألا يطالب بالوحدة مع مصر تحت زعامة عبد الناصر .

كما كان طبيعياً أيضاً أنه حينما يذهب عبد الناصر إلى سوريا حاكماً أن يكون الخائف الوحيد منه هو مصطفى السباعى ، ومعه بقية جماعة الإخوان السوريين ، وهذا ما جرى . فبمجرد وصول عبد الناصر إلى دمشق اجتمع الإخوان السوريون وقرروا الهرب وإخلاء الساحة السورية لعبد الناصر كما خلت له الساحة المصرية ، حتى لا يعرضوا أنفسهم للتنكيل على يديه .. فقد كان هذا هو المصير الوحيد الذى تخيلوه لأنفسهم فى العهد القريب .

المفاجأة .. ولكن

وبينما السباعى فى بيته يعد العدة للهرب إلى بيروت ، فوجئ فى اليوم التالى لوصول عبد الناصر إلى دمشق بوصول عبد الحميد السراج رئيس المكتب الثانى بالمخابرات السورية ، على رأس قوة عسكرية من عدة سيارات تحاصر بيته . فأيقن السباعى أن أجله قد حان وبأسرع مما كان يتوقع .

صعد السراج إلى بيت السباعى وحينما قابله فوجئ به قائلاً : السيد السباعى .. رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر يستأذنك فى الزيارة ببيتك العامر !

جلس عبد الناصر فى مواجهة الشيخ مصطفى السباعى ليقول له : يا شيخ مصطفى قبل أن أسمع رأيك فى مسألة الوحدة وموقفك منها ، أريدك أن تسمع منى قصتى مع الإخوان منذ عام ١٩٤٢ ، وحتى الآن ، وأنا أقبل حكمك بينى وبينهم ، فإذا رأيتنى مخطئاً فمعنى ذلك أننا مختلفون وأعطيك الفرصة لتذهب إلى أى مكان آمن ولا شأن لى بك .. أما إذا أعطيتنى الحق فأنا أطالبك بالوقوف معى دون تردد .

أخذ عبد الناصر يقص على السباعى وقائع العلاقة بينه وبين الإخوان ثم ظروف وملابسات الخلاف مع حسن الهضيبى وصولاً إلى حادث المنشية وما جرى بعده ، وحينما انتهى من قصته قال له السباعى ، إن الوحدة العربية عندى هى عودة الروح للإسلام ، فهى وحدها – إذا خلصت النوايا – عين الإسلام ، وحتى أعلن هذا على الملأ لأؤكد لك أننى ملتزم بما أعلن ، ألتمس منك وقد تفضلت بزيارتى أن أخرج معك الآن لنزور قبر صلاح الدين لتقول على القبر نقيض ما قاله «غورو» القائد الفرنسى حين دخل دمشق مع قواته «ها إنا عدنا يا صلاح الدين» !

ذهب عبد الناصر فعلاً وفى صحبته مصطفى السباعى المرشد العام للإخوان المسلمين فى سوريا إلى قبر صلاح الدين ، وهناك ألقى خطابه الشهير الذى قال فيه «لقد قامت فى الشرق دولة لا شرقية ولا غربية تحمى ولا تهدد تصون ولا تبدد تشد أزر الصديق .. وترد كيد العدو» ! وقد استغضب عبد الناصر بقوله هذا كلاً من البعثيين والشيوعيين . بينما شعر كل إخوانى مخلص أنه هو الذى كان يتحدث .

ربما يقول البعض إن عبد الناصر قد فعل ذلك ليستقطب الإخوان المسلمين ولكن الدليل على أنه كان جاداً ويعنى ما يقول أن الشيوعيين والبعثيين اعتبروا كلمة عبد الناصر رسالة موجهة لهم ، فقرروا مغادرة سوريا مخلين الساحة لعبد الناصر وجماعة الإخوان المسلمين وحدهم !

وجاء السباعى إلى مصر ليتصل برموز الإخوان فيها ، مؤكداً لهم أنه إذا ضاع عبد الناصر فلن تعوضه الحركة الإسلامية ، وأن خلافهم مع عبد الناصر لا مبرر له خاصة أن كل ما يقوم به يصب فى إطار الشريعة الإسلامية ولا يخرج عنها ، وأنه من غير المقبول ولا المعقول أيضاً ، أن يكون الإخوان المسلمون مع الصهاينة والغرب والشيوعيين فى صف واحد ضد عبد الناصر ، وضد الوحدة .. بحجة أن القومية العربية نقيض للإسلام ، أو أن الوحدة العربية نقيض للوحدة الإسلامية .

وأخذ السباعى يشرح للإخوان المصريين حقيقة رأيه المؤيد والمناصر لجمال عبد الناصر ويطالبهم باتخاذ نفس الموقف الذى يمليه عليه ضميره الإسلامى وحرصه على النهوض والتقدم .

ومن ناحيته ظل عبد الناصر حريصاً على تقريب مصطفى السباعى منه ، بعد أن وجد فيه العوض عن الإخوان المصريين ، وحينما فكر عبد الناصر فى إجراء حركة التأميمات بسوريا . ذهب إلى السباعى ليستطلع رأيه . ويستفتيه،

فأفتاه السباعى ، بأن الاشتراكية هى عين الإسلام ، وأنه لا تناقض بينهما فالإسلام قام على العدل الاجتماعى الذى هو القاعدة فى كل من الاشتراكية والإسلام . وقد وضع السباعى كتابه الشهير «الاشتراكية فى الإسلام» ليؤكد به رأيه المؤيد لعبد الناصر فى قرارات التأميم التى جرت فى كل من مصر وسوريا .

فى الوقت الذى كان فيه الإخوان فى مصر يهاجمون القرارات الاشتراكية ويصفون اشتركية عبد الناصر بالكفر والإلحاد والخروج على الإسلام ، كما هاجموا فى السابق قوانين الإصلاح الزراعى، حين اعتبرها الهضيبى عدواناً على أموال الناس وأكلها بالباطل ، وكانوا بهذه المعارضة يؤكدون انحيازهم الكامل لطبقة الإقطاعيين .«كان الإخوان المسلمون فى سوريا مع جمال عبد الناصر فى كل ما اتخذه من خطوات اشتراكية إسلامية» .



٦

انقلاب قطب على الثورة وانضمامه للإخوان

لم تكد حلقة من حلقات الصراع بين عبد الناصر والإخوان تنتهى ، حتى يبدأوا معه حلقة أخرى . ولكنها كانت من بين جميع الحلقات ، الأكثر ضراوة ودموية .. فما كاد لعبد الناصر أن ينتهى من صراعه مع حسن الهضيبى ، حتى ظهر له سيد قطب .

وقد جاء ظهور سيد قطب فى صفوف الإخوان - بل وعلى رأسهم - فى إطار سياسة «الخطف» التى اتبعها الجانبان كل منهما ضد الآخر ، فبعد أن نجح عبد الناصر فى «اختطاف» عدد من الإخوان إلى صفه ، مثل الشيخ الباقورى وعبد العزيز كامل وأحمد حسنى وغيرهم ، نجح الإخوان بدورهم فى اختطاف سيد قطب من صفوف عبد الناصر ليكون مفكرهم بعد أن كان مفكر الثورة ومنظرها الأول .

ويروى الدمرداش العقالى تفاصيل تلك الحلقة ، التى جاءت تحت عنوان «سيد قطب من الثورة إلى الثورة المضادة» .. متتبعاً بداياتها الأولى التى هى نفسها بدايات سيد قطب مع الثورة .

كان سيد قطب أديباً مشهوراً قبل أن يعرفه الناس «قطباً» من أقطاب الإخوان المسلمين ، وهو كأديب كان يتصف بالنرجسية الشديدة وإعتداده بنفسه . وقد أوقعه ذلك فى تناقض مبكر مع المرحوم الشيخ حسن البنا ، الذى رأى فى سيد قطب أنه يتشابه معه فى صفات كثيرة أولها أن كليهما كان «درعمياً» أى خريج كلية دار العلوم ، ولكن الشيخ حسن البنا كان ينفرد عن أبناء جيله فى أنه بدأ يبنى صرحه الذى يقوم على صناعة الأفكار وصناعة الرجال . أما سيد قطب فقد كان من فريق «الوراقين» أى أنه كان يعيش فى عالم بناه من الورق قراءة وكتابة ، وربما كان اعتداده بنفسه هو الذى جعله يتحاشى التعامل مع الناس ومع الواقع ، فلما رأى زميله «الدرعمى» يملأ السمع والبصر، صيتاً وشهرة ، كان يمقت عليه ذلك ويحسده ، ولا أقول من قبيل التحليل ، بل أنا شاهد عليه وكنت أول راصديه .

فقد كانَ سيد قطب خال زوجتى وهو من قرية موشى التابعة لأحد مراكز محافظة أسيوط . وكان أحمد محمد موسى ابن شقيقته ، وشقيق زوجتى من أتباع حسن البنا وأحد المنخرطين فى صفوف الإخوان المسلمين . وكان سيد قطب إذا جاء إلى قريته والتقى مع ابن شقيقته الإخوانى ومعه عدد كبير من رفاقه أتباع حسن البنا ، كان يكثر من سباب حسن البنا أمامهم ، وفى بعض المرات سمعته يسأل ابن اخته هذا «ماذا فعل بك حسن الصباح وجماعة الحشاشين» ؟!

كان سيد قطب كثيراً ما يعقد مقارنات بين جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة «الحشاشين» الشهيرة الذين كان يتزعمهم «حسن الصباح» ، والذى كان سيد قطب يرى - فى ذلك الوقت من أواسط الأربعينيات - شبهاً كبيراً بينه وبين حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين ، فكان ابن اخته حين يسمع خاله سيد قطب يقول ذلك عن جماعته وزعيمها ، يدخل فى شجار عنيف معه ، لم يكن ينتهى إلا بتدخلنا لإنهائه .

قطب الاشتراكية !

وقد ظل سيد قطب على عدائه الشديد لجماعة الإخوان المسلمين وزعيمهم حسن البنا ، حتى سافر إلى أمريكا مبعوثاً من وزارة المعارف، وكان على رأسها فى ذلك الوقت طه حسين . وحين عاد من هناك عين مستشاراً لوزارة المعارف . ولكنه كان قد تحول خلال الفترة التى أمضاها فى أمريكا فأصبح

شديد العداء للرأسمالية والمجتمع الرأسمالى . شديد التأييد للإشتراكية والعدالة الاجتماعية .

عاد سيد قطب من أمريكا لا ليكتب فى الأدب والنقد كما كان يفعل قبل أن يسافر إليها ، بل عاد ليكتب فى الاشتراكية مطعماً كتاباته فيها باجتهادات إسلامية . فكتب كتابه الذى جاء بعنوان «العدالة الاجتماعية فى الإسلام» ثم كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية» وهو من أخطر ما كتب سيد قطب على الإطلاق ، فهو يعقد فى هذا الكتاب حلفاً بين الإسلام والشيوعية ، مستبعداً أى تلاق بين الإسلام والرأسمالية ، ويقرل إن الشيوعية اجتهاد للبحث عن العدل أقحمت نفسها فى الكلام عن الدين بغير مبرر ، وعادت الدين بغير مقتضى . ولكنها وصلت إلى العدل الاقتصادى والاجتماعى الذى هو أحد ، وأهم ، أهداف الدين ، وأضاف سيد قطب مفسراً أن الشيوعية لو تخلت عن فكر الإلحاد التى هى ليست من ضرورات المذهب ولا يتطلبها الفكر الاقتصادى ، لالتقت مع الإسلام فى العدالة الاجتماعية .

أما الرأسمالية - فى رأى سيد قطب - فإن القرآن فى معظم آياته يطارد الكنز والتراكم ويدعو إلى تداول الأموال بين الأجيال «لكى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» .

حين بدأ سيد قطب فى تطعيم الاشتراكية بالإسلام . كان حسن البنا قد انتقل إلى جوار ربه ، فى أوائل الخمسينيات ، وبدأ حسن الهضيبى الذى أصبح على رأس الإخوان والذى كان ينكره الإخوان القدامى يبحث عن أنصار له مما جعله يضنى نفسه بحثاً عن إخوان جدد يدينون له بالولاء زعيماً وأباً للجماعة وقد رأى الهضيبى أن الأعضاء الذين ينضمون للجماعة حديثاً ليس لهم فضل السبق الذى يتميز به الإخوان القدامى على الهضيبى نفسه ، فيحول بينه وبين ولائهم له ، ولهذا راح الهضيبى يبحث له عن أعضاء جدد يتميز هو عليهم . وقد وجد حسن الهضيبى ضالته المنشودة فى سيد قطب خاصة أن الكثيرين من شباب الإخوان قد استهوتهم دعواه للإشتراكية الإسلامية . ولكن سيد قطب الذى اقترب كثيراً من الإخوان بعد تحوله الغريب والمفاجئ ، كان فى اقترابه اشتراكياً ، فقد رفض أن يكتب فى مجلة «الدعوة» لسان حال الإخوان المسلمين مفضلاً الكتابة فى مجلة «الاشتراكية»

قطب الثورة وقطب الإخوان

ولما قامت الثورة ، وجد سيد قطب نفسه قريباً من جمال عبد الناصر الذى اختاره نائباً له فى «هيئة التحرير» وهى أول تنظيم سياسى تقيمه الثورة بعد أن أصدرت قرارها بحل جميع الأحزاب السياسية .

شكل جمال عبد الناصر هيئة التحرير لتكون بديلاً عن الأحزاب السياسية المنحلة واختير سكرتيراً عاماً لها واختار سيد قطب سكرتيراً عاماً مساعداً . والذى يعود إلى جريدة «الجمهورية» وهى أول جريدة تنشئها ثورة يوليو لتكون لسان حالها ، وكان الترخيص بإصدارها باسم جمال عبد الناصر شخصياً ، سيجد أن مقالات سيد قطب بها هى المقالات الرئيسية التى تتصدر صفحاتها الأولى ،

وقد عبر فيها سيد قطب عن ضرورة الثورة والقرارات الثورية التى اتخذتها علاجاً للأوضاع السيئة فى مصر .

وأكثر من ذلك كان سيد قطب هو رسول جمال عبد الناصر إلى التجمعات الطلابية فى المدن الجامعية فى البدايات الأولى للثورة ، حين تظاهر طلاب الجامعات مطالبين بالديمقراطية ، فذهب إليهم سيد قطب موفداً من عبد الناصر ليشرح لهم الأوضاع السياسية . وكان سيد قطب فى معرض حديثه عن تلك الأوضاع يرى أنه لا مخرج لمصر مما تعانى منه من مشكلات مزمنة ومتضخمة إلا بإطلاق يد الثورة لترتيب البيت الذى تسلمته منهاراً .

وكان سيد قطب يدافع عن موقف جمال عبد الناصر مهاجماً الهضيبى وجماعة الإخوان المسلمين . وقد وصل سيد قطب فى هجومه عليه وعليها إلى درجة التأثيم والتجريم . فكان يرى أن أهداف الأمة المتفق عليها لا تتحمل الديمقراطية لأنها أهداف استحكمت فى ضمير الأمة وعقلها الجمعى الباطن . ولذلك فإن تلك الأهداف لا تحتاج إلى ديمقراطية لتحقيقها بل إن تحقيقها هو الذى يفتح الباب أمام الديمقراطية التى ليست شرطاً لتحقيق الجلاء ومحو الأمية والإصلاح الزراعى والتصنيع والتحرير . ولكن الجلاء وخروج الإنجليز والتحرير من الإقطاع والرأسمالية هو الشرط الأساسى لتحقيق الديمقراطية .

هكذا ظل سيد قطب هو مفكر الثورة أو أحد مفكريها وأبواقها فى أوساط الجماهير - طلابية وعمالية وفلاحين - وكان شديد الولاء لجمال عبد الناصر وقوى الإيمان بزعامته . حتى جاء المنعطف الذى حول سيد قطب من مناصر للثورة وزعيمها إلى معاد - شديد العداء - لها .

لماذا تحول ؟

كان الإخوان لا يزالون فى محاولاتهم لاستقطاب سيد قطب بما له من كتابات إسلامية تستهوى أعداداً كبيرة من شباب الإخوان ، بينما كان سيد قطب نفسه على ولائه للثورة وجمال عبد الناصر يرى فيها تحقيقاً لآرائه التى ينادى بها .

وبعد إقالة وزارة على ماهر - أول وزارة شكلتها الثورة - تقرر تشكيل وزارة جديدة برئاسة محمد نجيب ، ففاتح جمال عبد الناصر صديقه سيد قطب فى أمر تعيينه وزيراً للمعارف فى الوزارة الجديدة التى تجرى المشاورات لتشكيلها ، وجاء سيد قطب إلى أصدقائه وأهله ومعارفه ليتحدث معهم فى هذا الأمر ، الذى اعتبره وعداً من جمال عبد الناصر وليس مجرد تشاور .

ولكن قبل إعلان التشكيل النهائى للوزارة الجديدة ، جاء جمال عبد الناصر إلى سيد قطب ليعتذر له عن وزارة المعارف التى كان قد «وعده» بها بحجة أن كمال الدين حسين - عضو مجلس قيادة الثورة - كان مصراً على تولى هذه الوزارة بنفسه ، وعرض جمال عبد الناصر على سيد قطب وزارة الأشغال بدلاً من وزارة المعارف ، التى كان يرى سيد قطب أنه أحق بها من الجميع .

ولما كان سيد قطب شديد الاعتداد بنفسه ، فكان يتعامل مع جمال عبد الناصر على أنه «العقل» وعبد الناصر «الجسد» فلا يقبل من الجسد أن يوجه العقد ، بل يجب على العقل أن يوجه الجسد ! غضب سيد قطب غضباً شديداً واعتبر عبد الناصر مسئولاً عن ضياع حلمه فى وزارة المعارف التى كان ينتظر تعيينه بها مكافأة له على تأييده للثورة والدعاية لها .. وكتب لأحد أصدقائه وهو حسين عبد الفتاح الترامسى ناظر مدرسة «موشى» الإعدادية بأسيوط يقول له «إن العسكر استكثروا على سيد قطب وزارة المعارف .. والله سأجعلهم يدفعون ثمن استهانتهم بى غالياً» .

انزوى سيد قطب بعد ذلك ، ولم يعد إلى نشاطه السابق فى هيئة التحرير ، بل وأخذ يقترب من الإخوان الذين لم يكفوا عن مغازلته حتى وهو فى أحضان الثورة بقده وقديده . وفى نوفمبر عام ١٩٥٣ اقتحمت جماعة شباب الإخوان من أعضاء التنظيم السرى - وكنت واحداً منهم - بيت حسن الهضيبى ليطالبوه بالاستقالة تنفيذاً للإتفاق الذى عقدوه مع زعيمهم عبد الرحمن السندى على إقالة الهضيبى . وأما وقد فشل هؤلاء الشباب فى الحصول من الهضيبى على الاستقالة ، فقد اتهم الهضيبى عدداً من قيادات الإخوان بتدبير هذه «المؤامرة» عليه ، وكان صالح عشماوى رئيس تحرير جريدة الدعوة لسان حال الإخوان المسلمين واحداً ممن أدانهم الهضيبى بمسئولية التآمر عليه . فقرر الهضيبى فصل صالح عشماوى ومحمد الغزالى من جريدة الدعوة ، بل ومن جماعة الإخوان كلها .

وحين انفصل صالح عشماوى عن الإخوان - وكان صاحب الرخصة لجريدة الدعوة ، قرر عشماوى الانفصال بالجريدة وسخرها للهجوم على الهضيبى . عندئذ فكر الهضيبى فى إصدار جريدة أخرى غير «الدعوة» التى انتقلت إلى خصومه ، وكان من شروط الترخيص لإصدار جريدة جديدة - ولا يزال - تحديد اسم رئيس التحرير الذى يصدر الترخيص باسمه .

تقدم الهضيبى بطلب إلى وزير الداخلية - الذى كان فى ذلك الوقت هو جمال عبد الناصر نفسه - ليصرح له باستخراج جريدة جديدة باسم «الإخوان المسلمون» محدداً اسم رئيس التحرير وهو سيد قطب إبراهيم !! حين تقدم السكرتير بطلب الترخيص لجمال عبد الناصر وقعه فوراً ، بمجرد أن علم أنه طلب من الإخوان بإصدار جريدة جديدة ، فاندهش السكرتير من السرعة التى رأى عبد الناصر يوقع بها طلب الترخيص ، مما حمله على سؤاله : هل تعلم من هو رئيس التحرير ؟ فقال عبد الناصر : أيا كان رئيس التحرير ، فقال السكرتير له : إنه سيد قطب !!

هنا توقف عبد الناصر الذى لم يكن قد قرأ اسم رئيس التحرير على طلب الترخيص ، وطلب من سكرتيره أن يستدعى له سيد قطب ليتأكد منه بنفسه ، فربما يكون الهضيبى قد وضع اسمه على الطلب دون علمه ليورطه ، أو يوقع بينه وبين عبد الناصر . وحين جاءه سيد قطب ، سأله عبد الناصر: هل أنت من الإخوان ؟ وكانت هناك واقعة سابقة سأله فيها جمال عبد الناصر نفس السؤال : يا أخ سيد هل أنت من الإخوان ؟ فنفى سيد قطب أية علاقة له بالإخوان .

ففى صيف ١٩٥٣ ، صدر قانون حل الأحزاب السياسية ، وكان مجلس قيادة الثورة برئاسة محمد نجيب مصراً بكامل هيئته على أن يشمل قرار حل الأحزاب الإخوان المسلمين باعتبارهم حزباً سياسياً . وكان جمال عبد الناصر هو الوحيد من بينهم جميعاً الذى رفض أن ينطبق قرار الحل على الإخوان . وقال عبد الناصر فى تبريره الذى أبداه أمام المجلس فى "لك اليوم أن الإخوان المسلمين جماعة دينية تشتغل بالوعظ والإرشاد ولا ينطبق عليها وصف الحزب السياسى . فانقسم مجلس قيادة الثورة إلى قسمين متساويين بين مؤيد للرأى ومعارض له . وهنا تقدم عبد الناصر برأى يحل به مشكلة التعادل فى الانقسام بين أعضاء المجلس .. وقال عبد الناصر إننا عسكريون ولا بد أن نستأنس فى قرارنا برأى أحد المدنيين المتصلين بالشارع السياسى المصرى . فما رأيكم فى سيد قطب السكرتير المساعد لهيئة التحرير ، وافق أعضاء المجلس على حضور سيد قطب اجتماع المجلس ليقول رأيه فى قرار حل الإخوان المسلمين باعتبارهم حزباً سياسياً .

قال سيد أنه ليس مع حل الإخوان المسلمين حرصاً من الثورة على ألا تحارب فى كل الجبهات فى لحظة واحدة . فتخسر الكثيرين من أنصارها ومؤيديها فى وقت هى فى حاجة إليهم لتحارب بهم فى الجبهات الأخرى ، ثم - كما قال سيد قطب - إن المبررات التى تكمن وراء قرار حل الأحزاب السياسية لا تتوافر فى الإخوان المسلمين . فالإخوان لم يشاركوا فى السلطة قبل قيام الثورة ، ولم يعرفوا بالفساد الذى عرفت بها أحزاب تلك الفترة ، كما أنهم كانوا من أنصار «التغيير» الذى اتخذته الثورة شعاراً لها . مما يستوجب التفريق بين أنصار الثورة ومعارضيها .

وبعد أن أعلن سيد قطب رأيه على هذا النحو فى اجتماع مجلس قيادة الثورة ، شكره جمال عبد الناصر ثم سأله : يا أخ سيد : هل أنت من الإخوان المسلمين ؟ فنفى سيد قطب أية صلة له بالإخوان بل وأكد أنه معارض لهم . وحين قدم حسن الهضيبى طلب الترخيص لإصدار جريدة للإخوان المسلمين برئاسة تحرير سيد قطب ، استدعاه جمال عبد الناصر ليكرر عليه نفس السؤال : يا أخ سيد : هل أنت من الإخون المسلمين ؟

فقل سيد قطب : لم أكن .. فكنت !

تصفية حسابات

وقد أجاب سيد قطب عن السؤالين القديم والحديث ، إجابة واحدة ، بمعنى أنه لم يكن فى الإخوان المسلمين حين سأله عبد الناصر هذا السؤال أول مرة فى اجتماع هيئة التحرير ، ولكنه الآن قد انضم إليهم . قال له جمال عبد الناصر : أنت حر فى أن تنضم لمن تشاء ولكن أرجو ألا يكون ذلك «تصفية حسابات»!!

بدأ سيد قطب بالعمل رئيساً لتحرير جريدة الإخوان المسلمين بعد أن وافقه جمال عبد الناصر على إصدارها ، ومنذ العدد الأول للجريدة بدأ قطب هجومه على الثورة وجمال عبد الناصر ، مبتكراً

شخصية «قرفان أفندى» الكاريكاتيرية ليحملها هجومه . الذى أراده على المرحلة الجديدة .

ورغم تلك الشخصية الكاريكاتيرية التى تهاجم الثورة وأعمالها . لم تنقطع علاقة عبد الناصر بسيد قطب ، وفى إحدى المرات سأله عبد الناصر : ايه يا أخ سيد «القرفانين» بيكتروا قوى فى البلد اليومين دول ! «فرد عليه سيد قطب قائلاً : إذا كنتم فاكرين إن مفيش حد «قرفان» منكم تبقوا بتغالطوا أنفسكم !!

وحين تخرجت من الجامعة عام ١٩٥٤ ، وكنت أول دفعتى بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، نشرت جريدة الإخوان الخبر مع تهنئة لى فى صفحتها الأولى . فكان ذلك سبباً فى عدم تعينى معيداً بالكلية أو بالنيابة . وكان ذلك أول ثمن أدفعه لقربى من سيد قطب فى ذلك الوقت !

القطب السجين !

وقد ظلت جريدة الإخوان المسلمين فى هجومها على عبد الناصر والثورة ولم يتعرض لها أحد بالمنع أو المصادرة حتى وقع حادث المنشية ، فقبض على سيد قطب مع من قبض عليهم من قيادات الإخوان فى ذلك الوقت وقدم إلى المحاكمة ، وتم الحكم عليه لمدة خمسة عشر عاماً بتهمة الاشتراك فى تنظيم يستهدف قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة .

دخل سيد قطب السجن ، وكانت هناك تعليمات من جمال عبد الناصر شخصياً بمعاملته معاملة حسنة ، حتى أنه تمكن من مواصلة قراءاته وكتاباته فكتب معظم مؤلفاته خلال الفترة التى أمضاها فى السجن ، وسمح له بطبع كتبه وتداولها ، فخرج «ظلال القرآن» فى أكثر من طبعة جديدة .

وفى أعقاب إصدار «الميثاق» دارت المناقشات حوله فى أوساط المثقفين المصريين ، وكان الرأى الغالب على تلك المناقشات والتفسيرات يتجه نحو الماركسية واليسار ، فكثرت الكتابات عن الميثاق كما لو كان اجتهاداً من الشيوعية ، وكان ذلك على خلاف ما كان يراه فيه عبد الناصر ، وحين فكر عبد الناصر فى الخروج من هذا المأزق الذى وجد الماركسيين يحفرونه له ، لم يجد أمامه غير سيد قطب، فهو المفكر الوحيد القادر على أن يفهم الميثاق فهماً إسلامياً يتفق مع فهم عبد الناصر له .

قرر عبد الناصر الإفراج عن سيد قطب وفور خروجه من السجن استقبله فى بيته ، وقال له : إن الجماعة الماركسيين افتكروا أن الميثاق فتح لهم الطريق «لمركسة» الثورة ، وأنت أعلم بأن الثورة ليست ماركسية ولن تكون ، وأنا أريدك أن تكتب عن الإسلام ، فى مواجهة الماركسية لإيقاف هذا المد الماركسى عند حده . وهنا سأله سيد قطب : وهل سيتركنى زبانيتك لأكتب ما أراه ؟ فقال له عبد الناصر : اكتب ولا شأن لك بهم ولا شأن لهم بك .

وفعلاً خرج سيد قطب من مقابلته لعبد الناصر ليكتب أخطر كتبه على الإطلاق : «معالم فى الطريق» الذى يكاد يكون الأساس فى الفكر المتطرف الذى تشهده الساحة الآن . أو «مانفستو» الإرهاب !

وقد جاءت كتابات سيد قطب فى هذه الفترة لتدعو إلى المفاصلة مع المجتمع وتكفيره .. وطبع كتاب «معالم فى الطريق» أكثر من طبعة جديدة ، كانت تنفد كل منها بعد ساعات من إصدارها ، وكتب سيف اليزن خليفة رئيس المباحث العامة فى تلك الفترة تقريراً عن الكتاب يصفه فيه بالخطورة على المجتمع . ورفع التقرير إلى جمال عبد الناصر والذى يطلب فيه من رجال المباحث منع الكتاب من الطبع والتداول لخطورته ، ولكن عبد الناصر رفض منع الكتاب أو التعرض له ، لأنه كان قد قطع عهداً لسيد قطب ألا يسمح لأحد بالتعرض لكتاباته وأن يتركه حراً يكتب ما يشاء .

ورغم الكتب الكثيرة التى وضعها سيد قطب قبل الثورة وبعدها ، إلا أنه لم يغنم من ورائها ؛ مادياً ما غنمه من كتاب «معالم فى الطريق» الذى ألفه بعد خروجه من السجن ، فغير مسكنه من شقة متواضعة إلى ڤيلا فاخرة فى حلوان . واعتبر ذلك مؤشراً صحيحاً على اندماجه فى المجتمع ، وانسجامه مع الأوضاع فيه .. حتى كانت أحداث ١٩٦٥ الدامية .

٧

تطوير الأزهر أعظم قرارات ناصر الإسلامية

كان على جمال عبد الناصر أن يدفع دائماً فاتورة ولائه القديم للإخوان المسلمين ، وكان الإخوان المسلمون أنفسهم ولا أحد غيرهم - هم أكثر الناس استغلالاً لضعف عبد الناصر أمام كل ما يمت إلى الإسلام بصلة ..

فراحوا يطالبونه بدفع «الفواتير» أولاً بأول حتى إذا لم يجد معه ما يدفعه لهم .. كان الشجار والتشاحن ثم الصدام والاقتتال !

فبعد إصداره «الميثاق» راح الماركسيون يقدمون له الشروح والتفسيرات التى تناسب هواهم وميولهم . فخاف عبد الناصر من اتهام الإخوان له «بالتمركس» وهو اتهام - لو صح - يضعه فى خانة الكفار والمرتدين .. ولم يجد أمامه من ينقذه من هذا المأزق الذى وجد نفسه فيه ، غير صديقه القديم سيد قطب ، فأفرج عنه واستقبله فى بيته ليصارحه بحقيقة الأزمة ، وطلب منه أن يكتب عن الإسلام والتفسير الإسلامى للميثاق .. واضعاً حداً لهذا المد الماركسى الذى وجد الساحة أمامه خالية فاستشرى .

ولكن سيد قطب الذى كان نرجسياً معتداً بنفسه . رأى أن يكتب «ميثاقه» هو بدلاً من أن يتحدث عن ميثاق عبد الناصر ، وعن إسلامه هو بدلاً من إسلام الثورة وميثاقها .. فوضع «معالم فى الطريق» الذى أصبح ميثاق الإرهاب والتطرف بدلاً من ميثاق عبد الناصر الذى كان «معالم على الطريق» عنوان أحد فصوله .

وهكذا لم يشأ سيد قطب أن يضع نفسه فى مواجهة عبد الناصر ، بل وضع نفسه فى مواجهة المجتمع كله ، بعد أن رأى هذا المجتمع بكله وكليله مع عبد الناصر .. فلم يجد أمامه من وسيلة ينتقم بها من هذا المجتمع الذى رآه يسير وراء عبد الناصر غير اتهامه بالجاهلية ورميه بالكفر .. داعياً أتباعه إلى تجنب هذا المجتمع ومخاصمته والهجرة منه .. هجرة عقلية وروحية وجسدية ، والخروج عليه ومقاتلته قتال المسلمين لمجتمع كافر جاهلى !

كل ذلك كتبه «سيد قطب» فى عهد عبد الناصر الذى راح يغمض عينيه ويصم أذنيه ، ويكف يديه عن تلك الكتابات التحريضية خوفاً من اتهامه بالديكتاتورية والإرهاب والشيوعية !

الإرهاب والديمقراطية

وفى نهاية الأمر أفرزت كتابات سيد قطب ودعوته تنظيماً إرهابياً أخذ يخطط لنسف وتدمير المجتمع المصرى ، فوجد عبد الناصر نفسه مطالباً بالتدخل حاسماً .. بعد أن أيقن أن الخوف من اتهامه بالإرهاب والتظاهر بالديمقراطية ، قد جعل خصومه أكثر إرهاباً لتقويض المجتمع الذى نذر نفسه لتغييره إلى الأفضل .

ويروى المستشار الدمرداش العقالى لنا تفاصيل ما حدث بين عبد الناصر وخصومه .. بزعامة سيد قطب . فيقول :

بعد أن أفرج عبد الناصر عن سيد قطب ، بدأ التحرك والكتابة والقول بحرية يضمنها له عبد الناصر شخصياً ، فبدأ فى التجول بقرى مصر ومدنها ليقابل كل من يعرفه ومن لا يعرفه من أعضاء الإخوان المسلمين القدامى ، وجاء إلى أسيوط وقابلته هناك فى شتاء ١٩٦٤ ، ليتحدث مع الناس

حول ضرورة إعادة تجميع الإخوان المسلمين ، فسألته عن الهدف من وراء ذلك ، خاصة أنك كما قلت له تنعم بحرية لم تنعم بها فى أى عهد سابق ، فتكتب ما تشاء ، وتنشر كما تشاء ، وتتحدث وتتصل مع من تريد فيما تريد .. فلماذا إعادة تجميع الإخوان ؟ ومن الذى يضمن لك مثل هذا القدر من الحرية الذى تنعم به الآن أنت وكافة الإخوان ؟

الاعتقال

وأذكر أننى اشتبكت معه فى معركة كلامية وقف فيها معى كثير من الذين كانوا يحضرون اللقاء وأنهى سيد قطب معركته معى قائلاً : خير لى أن أسمعك تعارضنى الآن ، من أن توافقنى مسايراً ثم تتراجع فى منتصف الطريق .

اعتزلت سيد قطب وجماعته بعد رفضى الانضمام إليهم عند مفاتحتى فى الأمر ، حتى فوجئت بالإعلان عن تنظيم مسلح يتزعمه سيد قطب عام ١٩٦٥ ، لقلب نظام الحكم ، وقد تم اعتقالى مع من اعتقل من أعضاء الإخوان القدامى . وبقيت أسبوعاً فى الحبس رهن الاستجواب والتحقيق وبعد الإفراج عنى بعدما ثبت لجهات التحقيق براءتى ، توافرت لى معلومات دقيقة عن التنظيم الجديد الذى نجح سيد قطب فى تشكيله بعد الإفراج عنه ، وتركه ليعمل بحرية فى ظل حماية عبد الناصر شخصياً .

وقد ازداد تأكدى من ذلك بعد عملى خارج مصر فى بداية السبعينيات بما توافر لى من معلومات ومصادر حول وجود تنظيم سيد قطب المسلح .

فى يوليو ١٩٦٥ وقبل اكتشاف تنظيم سيد قطب حاول عبد الناصر الخروج بقواته من اليمن ، وعقد لهذا الغرض اجتماعاً مع الإمام البدر ولكنهما لم يتفقا على شىء . وبعد عودته إلى مصر استدعى فوراً وزير الداخلية عبد العظيم فهمى ليسأله عما إذا كانت قد توافرت لدى وزارته أية معلومات أو إشارات عن تحركات غير عادية يقوم بها الإخوان المسلمون . فأنكر عبد العظيم فهمى وجود أى شىء غير عادى فى رصده لحركة الإخوان على الساحة .

وبينما كان عبد الناصر فى زيارة لموسكو وصلته معلومات من رئيس جهاز المخابرات بأن الإخوان المسلمين بدأوا فى التحرك والخروج من أوكارهم فى وثبة جديدة على الثورة .

الصدام مع الإخوان ..

وهكذا اكتشف عبد الناصر أن المواجهة مع الإخوان باتت مسألة حقيقية .

طلب عبد الناصر من شمس بدران - وكان معه فى موسكو - أن يتصل بمخابرات الجيش ويأمرها بالبحث عن حقيقة الأمر .. فقد فشلت المباحث العامة ومباحث أمن الدولة فى الوصول إلى «أى شىء غير عادى» فى حركة الإخوان على الساحة فى الأيام الأخيرة كما قال له وزير

الداخلية قبل سفره إلى موسكو .

ولم تكد تمر ساعات على ذلك حتى تمكنت المخابرات الحربية فعلاً من اكتشاف معسكر للتدريب بمنطقة رأس البر ، وعدد كبير من الخلايا فى تنظيم إخوانى مسلح بزعامة سيد قطب . كان يخطط لنسف عدد من الجسور والكبارى والمنشآت فى مصر . وتولت أجهزة المخابرات الحربية أمر القبض والتحقيق فى هذا التنظيم . وقد أعلن عبد الناصر - وكان لا يزال فى موسكو - قرار حل الإخوان المسلمين ، و «إعادة اعتقال من سبق اعتقاله» من الإخوان المسلمين . وكان ذلك فى نادى الطلبة المصريين الدارسين بموسكو . وبعد انتهاء الاجتماع تقدم منه طالب مصرى وقال له : سيدى الرئيس لقد أمرت باعتقال كل من سبق اعتقاله من الإخوان ، وأنا واحد ممن شملهم قرار الاعتقال عام ١٩٥٤ ، ولكنى انفصلت عن الإخوان وأتيت مبعوثاً إلى موسكو للحصول على الدكتوراه .. وقد حصلت عليها فعلاً وسأعود بعد يومين إلى مصر ، لأعتقل من جديد فماذا أفعل ؟

فقال له عبد الناصر اذهب إلى يوغسلافيا ، وسأتصل بالرئيس تيتو لعمل بعض الترتيبات بشأنك هناك .. حتى تهدأ الأوضاع وتعود إلى مصر آمناً .

قطب يرفض العفو

وقد عاد هذا الدكتور إلى مصر ليشغل منصباً كبيراً فى الحكومة المصرية !! وهذا يدل على أن عبد الناصر لم يكن يجد فى يده شيئاً ما يفعله إلا وفعله لينأى بنفسه عن الظلم ، حين كان يعلم به ، وحتى سيد قطب نفسه - رغم كل ما فعله - إلا أن عبد الناصر حاول جاهداً من جانبه أن يخفف الحكم بإعدامه وأن يفرج عنه . والغريب أن حرص عبد الناصر على حياة سيد قطب هو الذى حدا بقطب أن يركب رأسه أكثر ويزيد تعنته إزاء موقف عبد الناصر المسالم .

والذى حدث أن عبد الناصر أرسل إلى سيد قطب من يخبره فى السجن بأن عبد السلام عارف قد توسط له لدى عبد الناصر بشرط أن يخرج من السجن ليسافر إلى بغداد .

ذهب هذا الرسول من قبل عبد الناصر إلى سيد قطب ، بعد الاتفاق معه على ألا يسمح لسيد قطب بأن يفهم أنه موفد إليه بأمر عبد الناصر حتى لا يركب رأسه .. وكان عبد الناصر يفهم جيداً نفسية سيد قطب وتركيبته النرجسية .. ورغم ذلك ، رفض قطب أن يلتمس العفو من عبد الناصر كتابة بعد أن علم أن عارف يتوسط له ، وقد فهم قطب من تلك الوساطة أنه مشمول بحماية عبد السلام عارف ، ولابد أن عبد الناصر لا يستطيع أن ينفذ فيه حكم الإعدام حرصاً منه على العلاقة الوطيدة التى تربطه بعارف .

وكان تقدير سيد قطب للأمر فى ذلك الوقت أن كتابة الالتماس إلى عبد الناصر سوف تنزل من قدره وتحط من شأنه فى نظر أتباعه ومريديه .. وبذلك سوف يخسر كثيراً إذا ما أقدم على كتابة الالتماس بالعفو عنه لعبد الناصر ، بينما لن يخسر شيئاً إن لم يكتبه ، لأنه بتدخل عبد السلام عارف

قد ضمن البقاء على حياته ، فليحيا إذن حراً كريماً دون كبوة الالتماس لعبد الناصر التى تحط من كرامته ، وتشعره بالضعف أمام خصمه اللدود !!

وحين سمع عبد الناصر بأن قطب رفض كتابة الالتماس بتخفيف الحكم عنه ، اعتبر ذلك محاولة للى الذراع فقرر تنفيذ الحكم فيه ..ونفذ الحكم فعلاً بإعدام سيد قطب الذى راح ضحية نرجسيته وحساباته الخاطئة !

عبد الناصر مسلماً

وبإعدام سيد قطب انتهت آخر وأخطر الحلقات فى الصراع المرير بين عبد الناصر والإخوان . وهو صراع على السلطة وليس على الدين ، فلم يكن عبد الناصر قد فعل ما يبرر للإخوان صراعهم معه ، بل لعل انتماء عبد الناصر للإخوان عقائدياً قد انعكس فى الكثير من القرارات التى اتخذها .. واعتقد أن العمل الإسلامى بكل أبعاده فى مصر تلقى فى عصر عبد الناصر دعماً لم يتلقه منذ دخول الإسلام مصر . ولكن مع عداوته مع الإخوان استطاعوا حجب وتشويه آثار هذا العمل الإسلامى الناصرى ، وهذا من قدرات الجماعة التكتيكية والحركية ، بينما عجزت الناصرية أن تجلى هذه الآثار وتبرزها .

وعلى سبيل المثال ، يذكر أهل الصعيد القدامى بفخر للمرحوم محمد محمود أحد رؤساء الوزارات فى عهد ما قبل الثورة أنه فى عام ١٩٣٨ لاحظ - وكان أحد كبار ملاك الأراضى فى الصعيد - أن جميع صرافى الأراضى الذى يقومون بجمع الأموال المقررة على الأراضى للدولة ، كانوا من الأقباط فشغله هذا الأمر كثيراً ، وأشار عليه أحد مستشاريه بقرار أصدره فوراً وظل الأحرار الدستوريون من أتباع محمد محمود يعتبرون ذلك القرار الذى أصدره زعيمهم فتحاً إسلامياً حتى أن الأزهر كان ينحاز إلى الأحرار الدستوريين فى خلافهم مع الوفد ، مبرراً انحيازه لهم بأنهم يخدمون الإسلام أكثر من الوفد ، فماذا كان هذا القرار الذى أصدره محمد محمود ليصبغ به الأحرار الدستوريين بالصبغة الإسلامية ، ويجعلهم حماة الإسلام وقلعته ؟

أنشأ محمد محمود مدرسة للصيارف ، نص فى قرار إنشائها بأن أول شرط للإلتحاق بها حفظ القرآن الكريم .. وكان الهدف من هذا الشرط - كما هو واضح - قصر الإلتحاق بها على المسلمين فقط . وبهذا القرار «أسلم» محمد محمود والأحرار الدستوريون مهنة الصيارف .

وكان من شأن هذا القرار الواحد الوحيد الذى اتخذه محمد محمود أن يجعله زعيماً إسلامياً يحظى بتأييد الأزهر والإسلاميين فى مصر ، ولكن جمال عبد الناصر اتخذ أكثر وأخطر من هذا القرار خدمة للإسلام ، ومع ذلك لم يحظ كما حظى محمد محمود بتأييد الإسلاميين أو الإخوان المسلمين .

تطوير الأزهر

وعلى سبيل المثال حين زار جمال عبد الناصر جامعة أسيوط ، فى أول إنشائها عام ١٩٥٤ ، التقى بعميد كلية الهندسة فيها وهو الدكتور عبد السلام فهمى الذى كان قطباً إخوانياً قديماً وأحد أعضاء الجهاز السرى فى الجماعة .

وقد اشتكى الدكتور عبد السلام فهمى لجمال عبد الناصر أثناء الزيارة ، أن أغلبية الطلبة بالكليات العملية مثل الطب والهندسة والعلوم والصيدلة كانوا من الأقباط وأن معظم - إن لم يكن كل - الصيادلة بأسيوط من المسيحيين .

وكان رد عبد الناصر على الدكتور فهمى حول تلك المسألة ، إنه لايستطيع أن يفعل شيئاً طالما كان مجموع الدرجات هو معيار الالتحاق بتلك الكليات ، وأنه لا يستطيع أن يلحق الطلاب المسلمين بها دون شرط المجموع ، كما لا يستطيع أن يمنع الطلاب المسيحيين من الالتحاق بها طالما كانوا حاصلين على مجموع الدرجات الذى يؤهلهم لذلك .. فأشار عليه الدكتور عبد السلام فهمى - القطب الإخوانى القديم - بتطوير الأزهر ، وإنشاء بعض الكليات العملية به كالطب والصيدلة والهندسة والعلوم ، بدلاً من إغلاقه على ثلاث كليات تقليدية فقط هى الشريعة واللغة العربية وأصول الدين ، على أن يكون شرطاً لدخول تلك الكليات العملية الجديدة حفظ الطالب للقرآن الكريم وإلمامه بالشريعة الإسلامية .

اقتنع عبد الناصر بالفكرة التى قدمها له الدكتور عبد السلام فهمى . وأصدر قانون تطوير الأزهر، وهو أخطر قانون أصدره عبد الناصر لصالح الإسلام والمسلمين ، والذى يريد إنصاف عبد الناصر فى خدمة فقراء المسلمين لابد وأن يعلم أن خريجى كليات الطب والهندسة والصيدلة والعلوم والزراعة فى السنوات الأربع من عمر تلك الكليات كانوا من أبناء المقرئين وخدام المساجد وعمال دورات المياه بالمساجد ، هؤلاء الذى لم يكن يدور فى أذهانهم تعليم أبنائهم لأكثر من المرحلة الابتدائية أو الإعدادية على أكثر تقدير ، فأصبحوا الآن يلتحقون بأفضل الكليات الأزهرية دون شرط المجموع . فتغيرت جغرافية التنظيم المهنى فى مصر لأول مرة فى تاريخها لصالح المسلمين .. وكان ذلك على يد جمال عبد الناصر .

والغريب أن الإخوان المسلمين وأشياعهم - هاجموا قرار عبد الناصر بتطوير الأزهر واعتبروه مؤامرة لتخريب الدعوة الإسلامية وضربها فى الصميم !! ويكفى أن أقول هنا أن بعثات دول الخليج التى كانت تأتى اللجان منها لاختيار عدد من الأطباء والصيادلة والمهندسين المصريين للعمل فى تلك الدول، كانوا يجدون أن معظم الأطباء والصيادلة والمهندسين المسلمين من خريجى كليات الأزهر ، فكانوا يتعجبون لروعة القرار الذى اتخذه عبد الناصر لتطوير الأزهر وتخريجه للطبيب المسلم والمهندس المسلم والصيدلى المسلم . بعد أن كانت تلك المهن الخطيرة قصراً على المسيحيين وحدهم !

ناصر والجماعات الإسلامية

ولعلى أكاد أقطع بأن ظهور الجماعات الإسلامية فى صفوف الطلاب المصريين يرجع إلى الخطوة التى اتخذها عبد الناصر بإعلان مجانية التعليم وتطوير الأزهر ، فقد فتح أبواب التعليم أمام شرائح ضخمة من أبناء الفقراء الذين يشكلون الآن القاعدة فى الحركة الإسلامية التى نشهد تضخمها الآن .

أما القرار الآخر الذى اتخذه عبد الناصر لخدمة الإسلام والمسلمين فهو إنشاء مدينة البعوث الإسلامية ، ولكى تعرف مدى خطورة هذه الخطوة ينبغى أن تعلم أن الأزهر منذ إنشائه فى عهد الفاطميين وحتى عهد جمال عبد الناصر كان يتضمن ستة أروقة فقط ، يضم كل رواق منه عدداً من الطلاب لا يزيد على الخمسين أو الستين ، وكان الطلاب الذى يفدون إلى الأزهر من مختلف البلاد الإسلامية البعيدة يمضون فترة تعليمهم بالأزهر فى عيشة مزرية ، حتى قرر عبد الناصر إنشاء مدينة البعوث الإسلامية للطلاب الوافدين إلى الأزهر من مختلف البلدان الإسلامية ، فوفر لهم حياة كريمة تليق بهم كطلاب علم مسلمين .

وإذا نظرنا إلى الأعداد الكبيرة التى تقيم بمدينة البعوث علمنا حجم المبالغ الضخمة التى تنفقها مصر من ميزانيتها الفقيرة ، وما كان ذلك ليحدث لو لم يكن حاكم مصر - جمال عبد الناصر - رجلاً يعمل لخدمة الإسلام والمسلمين ، ولو امتنع عبد الناصر عن إقامة هذا المشروع الإسلامى الضخم متعللاً بالفقر ، لما استطاع أحد أن يلومه على ذلك . ولكن انتماءه الإسلامى الصحيح وحرصه على نشر الإسلام وتقدم المسلمين منعه من ذلك ، وجعله يتحمل فوق طاقته من أجل ذلك الهدف النبيل .

قرار لم يُستوعب

ثم أقف طويلاً عند قرار أصدره جمال عبد الناصر ، لو كانت القيادة المصرية استوعبت هذا القرار وفهمته ، لعقدت لمصر زعامة إسلامية أخرى أعظم من كل ما مضى .

فقد أصدر جمال عبد الناصر قراراً يدل على أنه تلميذ وفىّ جداً للشيخ حسن البنا ، فقد أمر بشىء لم يكن أحد فى مصر يفكر فيه سوى حسن البنا وحده . وتفصيل ذلك أنه حين أنشأ الشيخ حسن البنا عام ١٩٤٥ لجنة اسمها لجنة التقريب بين المذاهب الإسلامية لما رأى أن علماء السنة لا يلتقون أبداً مع علماء الشيعة ، دعا البنا إلى هذه اللجنة علماء الأزهر ومنهم المرحوم فضيلة الشيخ محمود شلتوت . إلى جانب عدد من علماء المذهب الشيعى من إيران وغيرها ، ليقيموا حواراً فيما بينهم يهدف إلى تقريب المذاهب الإسلامية بعضها من بعض .

ولما قامت الثورة . وجاء عبد الناصر ، كلف الشيخ الباقورى ببحث إمكان تدريس الفقه الشيعى الجعفرى بالأزهر كمذهب إسلامى خامس بعد أن كانت الدراسة بالأزهر قصراً على المذاهب السنية الأربعة المعروفة . وقامت وزارة الأوقاف المصرية بطبع بعض الكتب التى تعرف بالمذهب الشيعى على نفقتها ، ومنها كتاب «المختصر النافع فى فقه الإمامية» لأبى القاسم الحلى . وكانت وزارة الأوقاف

تبيع هذا الكتاب على ضخامته بخمسة قروش فقط .. وهو ما يعنى أنه ثمن رمزى بالقياس إلى عدد صفحاته التى تبلغ أكثر من ٤٠٠ صفحة .. وقد كتب له المقدمة الشيخ الباقورى يشيد فيه بالفقه الشيعى وينعى على الأمة تمزقها بين شيعة وسنة ، ويقول إن الثورة المصرية أرادت من بين ما أرادت أن تعبر الفجوة بين السنة والشيعة وأن تقدم للقارئ المصرى والسنى عموماً كتاباً فى الفقه الشيعى ما كدت أن أقرأه قبل أن أكتب مقدمته حتى حزنت على العصور التى حجبتنا عن هذه المعرفة . وفى عام ١٩٦٠ وجه عبد الناصر الدعوة لعلماء المسلمين من المذاهب الثمانية – وليس الأربعة – لحضور مؤتمر علماء المسلمين بالأزهر ، فاجتمع مؤتمر علماء المسلمين الأول ومثل فيه الشيعة الجعفرية من إيران ، والأباضية من عمان ، والزيدية من اليمن ، والظاهرية فى الجزائر ، وكان ذلك لأول مرة فى التاريخ الإسلامى قديمه وحديثه . وفوق ذلك صدرت فى عهد عبد الناصر موسوعة الفقه الإسلامى ، وهى – فى رأيى – أخطر مشروع إسلامى فى العصر الحديث ذلك لأنه يعيد الدماء إلى الفقه الإسلامى والاجتهاد فيه بعد أن كانت أبوابه موصدة لعدة قرون طويلة مضت ، فهل يستطيع أحد أن يقول أن حاكماً فعل ذلك ليس حاكماً إسلامياً ، يعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين ؟!

٨

عبد الناصر و«الإخوان» انتماء وهدنة وصراع

لابد أن يصاب المرء بالحيرة والدهشة أمام الموقف العدائى الذى اتخذه الإخوان المسلمون من عبد الناصر وعهده . فهو الموقف الذى ليس له ما يبرره، خاصة وأن الرجل قد فعل كل ما كان فى وسع أى حاكم مسلم أن يفعله .. ولو كان حسن البنا نفسه - وهو زعيم الجماعة ومؤسسها - فى مكان عبد الناصر .. لما استطاع أن يفعل أكثر مما فعله عبد الناصر خدمة للإسلام والمسلمين ؟

فلماذا إذن كان العداء والعدوان ؟ ولماذا كان الخلاف والاقتتال ؟ ولماذا حاولوا قتله غيلة ، ثم حين فشلوا .. راحوا يحاولون قتله معنوياً بتشويه صورته والتشكيك فى إسلامه ؟

يقول الإخوان - أو بعضهم - ممن شعر بحرج الموقف باغتيال رجل مسلم حقق للإسلام أكبر وأعظم إنجازاته في العصر الحديث ، إن محاولة الاغتيال التى جرت فى ميدان المنشية بالإسكندرية فى صيف ١٩٥٤ ما هى إلا تمثيلية قام عبد الناصر بإخراجها لإيجاد المبرر المناسب الذى يسمح له بالتخلص من الإخوان شنقاً أو اعتقالاً .. ونحن نسأل هنا : ألم يكن انفجار مدبر تقوم به أجهزة عبد الناصر فى إحدى الحافلات العامة أو دور السينما كفيلاً بإيجاد مثل ذلك المبرر الذى كان عبد الناصر يبحث عنه لإعدام بعض الإخوان أو سجنهم ؟

ثم ..

ماذا يقول هؤلاء وقد شهد الكثيرون - ومنهم الباقورى نائب حسن البنا نفسه - بأن عبد الناصر كان الوحيد فى مجلس قيادة الثورة الذى رفض التصديق على الحكم الذى أصدرته محكمة الثورة بإعدام عدد من قيادات الإخوان ، وطالب زملاءه بتخفيف تلك الأحكام إلى السجن والاعتقال، حتى إن زميله جمال سالم - رئيس محكمة الثورة التى أصدرت تلك الأحكام - هدد بقتله برصاص مسدسه حين سمعه يطالب بتخفيفها .

ثم ..

هل اتهام الإخوان باغتيال عبد الناصر ، كان موجهاً إلى جماعة من الأبرياء لا تؤمن بالقتل والاغتيال كوسيلة لتصفية الخلافات ؟

ثم ..

ألم يكن هناك تنظيم إخوانى مسلح ، هو «التنظيم السرى» ولماذا كان سرياً حتى على قيادات الإخوان أنفسهم ، إذا كان الهدف من إنشائه مشروعاً وأخلاقياً ؟ إن الدمرداش العقالى .. وهو أحد أبرز أعضاء ذلك التنظيم السرى أو «الجهاز الخاص»، يعترف بوجود هذا الجهاز ، بل ويعترف بكل العمليات التى نسبوا إليه القيام بها .

السرية للجميع

ويقول العقالى : إذا أردنا أن نعيد قراءة الحقبة التاريخية التى تبدأ بعام ١٩٤٥ وحتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، لكى نحكم على مجمل نشاط الجهاز الخاص بقيادة عبد الرحمن السندى كان علينا أن نأخذ بعين الحذر والتدقيق تلك الحوادث التى نسبت إلى الجهاز الخاص أو «الجهاز السرى» القيام بها فى تلك الحقبة ، لدى قراءة ملف الجهاز الخاص فى الفترة السابقة على ثورة يوليو علينا أن نكون حذرين فى إسناد تلك الحوادث إلى ذلك الجهاز لأن كثيراً منها ارتكبته أيد أخرى حيث كانت الساحة المصرية - قبل الثورة - مليئة بالحركات السرية المسلحة ، التى ينتمى كل منها إلى

أيديولوجية مختلفة . وذلك بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين بالإضافة إلى الظروف المصرية المحلية التى تتمثل فى الاحتلال الأجنبى والفساد المستشرى فى جنبات الحكم وأجهزته مع التمايز الطبقى الواضح فى المجتمع . ولا شك أن تلك الظروف - محلية وعربية ودولية - كانت مناخاً مناسباً لظهور الكثير من الحركات السرية المسلحة التى ترى الحل للمشكلات المصرية فى العنف والقوة بديلاً عن الديمقراطية الغائبة فى مجتمع يتميز بالفوارق الطبقية الرهيبة .

ولم تكن تلك الحركات السرية كلها إسلامية ، وأضرب لذلك مثلاً بحادثتين شهيرتين ، يصل التعميم إلى إسنادهما إلى الجهاز الخاص للإخوان المسلمين رغم وجود أدلة قطعية على عدم صلة ذلك الجهاز بوقوعهما . الأول هو حادث مقتل الدكتور أحمد ماهر ، رئيس الوزراء المصرى المعروف ، والثانى حادث مقتل سليم زكى حاكمدار القاهرة - أو مدير أمن القاهرة - وهما الحادثان اللذان ينسب البعض وقوعهما إلى الجهاز الخاص للإخوان المسلمين .

الحزب الوطنى القديم

أما الحادث الأول وهو اغتيال الدكتور أحمد ماهر ، فقد قام به فرد معلوم للجميع وهو محمود العيسوى . الذى كان منتمياً كما هو ثابت فى ملف القضية - إلى الحزب الوطنى القديم . الذى أسسه مصطفى كامل ، وكانت هناك أرضية مشتركة يقف عليها ذلك الحزب مع جماعة الإخوان وهى الأرضية الإسلامية ، فكلاهما كان يطرح الأمور من زاوية إسلامية واضحة ، وربما لهذا السبب يقع بعض المؤرخين فى الخطأ حين ينسبون اغتيال أحمد ماهر إلى الإخوان .. وهم فى الواقع أبرياء من ذلك العمل . الذى قام به عضو منظم فى الحزب الوطنى الذى لا يوجد له أى ارتباط حركى أو تنظيمى بجماعة الإخوان وإن كان هناك ارتباط فكرى وأيديولوجى واضح بينهما . ومحمود العيسوى الذى كان متهماً باغتيال الدكتور ماهر ، لم يقل أحد بعد وقوع الحادث أو أثناء المحاكمة التى جرت له إنه ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين ، فقد كان معلوماً للكافة أنه من الحزب الوطنى القديم ، ولذلك تطوع للدفاع عنه أحد أبرز أقطاب الحزب وهو الدكتور على بدوى عميد كلية الحقوق فى ذلك الوقت.

الماركسيون

أما سليم زكى حكمدار القاهرة فقد اغتيل فى كلية الطب جامعة فؤاد «القصر العينى» على إثر مظاهرة طلابية كبيرة ، الثابت أن الذين قاموا بها هم الطلاب الماركسيون الذى يتزعمهم الطالب فؤاد محيى الدين الذى أصبح رئيساً لوزراء مصر بعد ذلك ، وكان سليم زكى قد ذهب إلى القصر العينى على رأس قوة عسكرية من رجال البوليس لفض تلك المظاهرة الطلابية الماركسية فألقيت عليه قنبلة من فوق أحد المبانى أصابته مباشرة فلقى مصرعه . ولم يسر أحد من الذين حققوا فى تلك القضية

تحقيقاً قضائياً أو تاريخياً أن الإخوان كانوا ضالعين فيها . وحين كنت عضواً بمجلس الشعب عن أسيوط ، وكان ممدوح سليم زكى ، ابن المرحوم سليم زكى محافظاً لأسيوط ، دار بينى وبينه حوار حول الحادث ، وأكد لى ممدوح زكى أن الإخوان أبرياء من دم والده ، وأن الطلاب الماركسيين هم الذى اغتالوه .

أما لماذا اغتيل الدكتور أحمد ماهر ، فقد كان رئيساً لوزراء مصر أثناء نشوب الحرب العالمية الثانية ووصول معاركها إلى نقطة الذروة ، ولهذا استصدر أحمد ماهر قراراً من مجلس النواب بانضمام مصر إلى معسكر الحلفاء ضد معسكر المحور، مما أثار غضب الشباب المصرى فى ذلك الوقت وكانوا متعاطفين مع المحور ضد الحلفاء . على أمل أن تنتصر قوات المحور بقيادة ألمانيا على قوات الحلفاء بقيادة بريطانيا ، الأمر الذى سيضعف قواتها المحتلة فى مصر ، فتنسحب من الأراضى المصرية ويتحقق الجلاء ، وهو أسمى الأهداف وأغلاها . ولم يكن من المعقول أو المقبول فى نظر أولئك الشباب أن تنضم مصر لتقاتل مع القوات البريطانية وتناصرها وهى التى لا تزال تحتل الأراضى المصرية ولهذا اعتبر محمود العيسوى وغيره من الشباب فى أحزاب مصرية كثيرة غير الحزب الوطنى أو الإخوان المسلمين ، أن القرار الذى استصدره أحمد ماهر من مجلس النواب بالإنضمام إلى صفوف بريطانيا يشكل خيانة عظمى جزاؤها القتل . لهذا السبب الوطنى وحده ، ودون أية خلفية إسلامية أو مبررات دينية ، أقدم محمود العيسوى على اغتيال أحمد ماهر الذى استصدر ذلك القرار «الخائن» فى نظر الشباب إسلاميين وغير إسلاميين .

كذلك فإن سليم زكى لم يقتل لشخصه ، بل قتل كرجل بوليس وجد نفسه فى مواجهة مع طلاب ثائرين ، ولو كان أى شخص آخر فى موقعه فى تلك الموقعة لقتل كما قتل سليم زكى . وكانت تلك الفترة من عام ١٩٤٦ تتسم بالثورة والعنف فى الأوساط الطلابية والعمالية .

بداية العنف

أما الحوادث التى قام بها الجهاز الخاص للإخوان المسلمين فقد بدأت بعد القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وقد آثار ذلك القرار الغضب فى نفوس الناس - إسلاميين وغير إسلاميين - ولكن أعضاء الجهاز الخاص للإخوان انفردوا فى التعبير عن غضبهم بالعنف ، حين قرروا ضرب بعض المصالح والمشروعات التى يمتلكها اليهود فى مصر . مثل شركة الإعلانات الشرقية «جريدة الجمهورية الآن» .

اغتيال الخازندار

أما حادث اغتيال الخازندار رئيس محكمة الجنايات فقد وقع لأسباب مغايرة للأسباب السابقة . وترجع الأسباب الحقيقة لاغتيال الخازندار ليس فقط للأحكام المشددة التى وقعها على بعض

أعضاء الجهاز السرى للإخوان الذين تمكنوا من وضع القنابل فى نادى الضباط الإنجليز ، بمعسكر مصطفى باشا فى الإسكندرية .. بل لأن تلك الأحكام المشددة التى أصدرها ذلك القاضى اقترنت بأحكام أخرى اعتبرها الإخوان مخففة جداً على أحد الجناة فى قضية مشهورة جداً فى ذلك الوقت وهى قضية «السفاح قناوى» .

كان السفاح قناوى متهماً فى عدد من حوادث اختطاف الأطفال وقتلهم بعد الاعتداء عليهم ، وقد تكررت تلك الحوادث فى الإسكندرية حتى تم اكتشاف مرتكبها وهو السفاح «قناوى» الذى اعترف بارتكاب تلك الحوادث جميعها . وثبتت عليه التهمة فى محاكمة شدت إليها أنظار المصريين جميعهم وهى تشبه محاكمة «سفاح المغرب» الذى تم الإعلان عنه أخيراً .. وكان الناس ينتظرون إعدام ذلك السفاح «قناوى» لبشاعة الجرائم التى ارتكبها ولكن القاضى الخازندار لم يحكم عليه بأكثر من سبع سنوات فقط ، بينما حكم - وفى نفس الجلسة - على أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الذى وضعوا القنابل فى نادى الضباط الإنجليز .. وهى قنابل لم تنفجر ، بالأشغال الشاقة المؤبدة أى ٢٥ سنة !

ربنا ينتقم منك

وقد نشر الحكم فى القضيتين فى صبيحة اليوم التالى ، وحين قرأهما المرحوم حسن البنا كان عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى للإخوان إلى جواره .. وقد صدر تعليق عفوى من المرحوم حسن البنا على الأحكام التى أصدرها القاضى الخازندار حين قال : «بقى يا خازندار تحكم بسبع سنين فقط على عدد من الجرائم المرتكبة .. اختطاف واعتداء وقتل ، وتحكم بخمس وعشرين سنة على شباب وطنى ألقى القنابل على المحتل الغاصب للوطن ؟ .. ربنا ينتقم منك» ! وحين سمع عبد الرحمن السندى العبارة الأخيرة التى نطق بها زعيم الجماعة «ربنا ينتم منك» اعتبرها السندى أمراً باغتيال القاضى الظالم .. فراح يخطط للعملية من وراء ظهر الجميع .. حتى حسن البنا نفسه ! وبعد أيام وبينما كان القاضى الخازندار يهم بركوب «المترو» فى منطقة حلوان التى كان يسكنها ، تقدم منه محمود زينهم عضو التنظيم السرى لجماعة الإخوان المسلمين ، ومعه عدد آخر من زملائه ، وأطلقوا عليه الرصاص فأردوه قتيلاً فى الحال .. وقد تمكن رجال البوليس من إلقاء القبض على هؤلاء القتلة وقدموا للمحاكمة فأصدرت فى حقهم أحكاماً بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وحين قامت الثورة أصدر جمال عبد الناصر ، أول قرار يصدر عنه بالإفراج عن قتلة الخازندار ضمن من أفرجت عنهم الثورة من أعضاء الجماعة المسجونين على ذمة قضايا مختلفة .

المهم أن حسن البنا حين سمع بمقتل الخازندار ، وعرف أن عبد الرحمن السندى هو الذى دبر لتلك العملية استنكر ذلك بشدة فقال له السندى إنه فهم منه عكس ذلك حين قال «ربنا ينتقم منك» .

اغتيال النقراشى

أما عن اغتيال محمود فهمى النقراشى ، رئيس الوزراء فى ديسمبر ١٩٤٨ فقد سبقته أحداث متلاحقة أشبه بعملية السباق بين فريقين يسعى كل منهما لتصفية الآخر .

كان النقراشى من أنظف وأفضل رؤساء الوزارات فى مصر قبل الثورة ، ولكنه دخل فى مواجهة مع الإخوان رأى النقراشى أن ينهيها بقرار حل الجماعة والقبض على كل قيادتها ، وإيداعهم السجون والمعتقلات ، ولكن لماذا حدث ذلك ؟

فى أعقاب صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، تصاعدت الأحداث فى نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وكان رأى حسن البنا أن الطريق الأمثل لمواجهة القرار الدولى الظالم هو الإعداد لحرب شعبية عربية ، وقد عبر عن ذلك فى عدة مقالات ، لكن السلطة أساءت الظن بدعوته ، ورأت أنه يهدف إلى خلق المناخ المناسب لإعداد كوادر عسكرية لديها العتاد والسلاح ، لإسقاط نظام الحكم فى مصر ، لذلك سارعت الحكومة والملك فاروق إلى التدخل بالجيش فى حرب فلسطين دون إعداد حقيقى ، وقد جاء هذا التدخل ليقطع الطريق على أى تحرك شعبى مسلح قد يشكل تهديداً على النظام والدولة .

وحينما علم حسن البنا بقرار الملك بالتدخل الرسمى فى فلسطين ، بدأ يتجه اتجاهاً آخر وهو أن يستبقى الجهاز السرى فى مصر دون أن يقحمه فى الحرب ، وبذلك يمكنه - فى ظل انشغال الجيش المصرى فى فلسطين - من توجيه ضربة تاريخية يحرك بها الأحداث على أرض مصر فى اتجاه التغيير الذى ينشده ويسعى إليه . وحين علمت قيادة الإخوان بقرار حسن البنا ثارت عليه ، وهدد الأمر بانقسام الجماعة على نفسها ، فالشعارات التى كانت تغطى الشوارع فى ذلك الوقت كانت تحرض على الاشتراك فى الحرب .. فى حين كان يصعب على الشيخ البنا أن يصرح بخططه ونواياه الحقيقية لأحد باستثناء عدد من قادة الجهاز السرى ، لذلك رأينا مكتب الإرشاد والوعظ بالجماعة خاصة الشيخ «محمد فرغلى» يعلن غضبه على الشيخ البنا الذى لم يجد أمامه غير فتح باب التطوع للحرب فى فلسطين ، حيث تطوعت أعداد كبيرة من الإخوان وغير الإخوان . وهنا تنبهت الحكومة برئاسة النقراشى إلى أن الإخوان المسلمين الذين يقاتلون فى فلسطين والذين استطاعوا - مع قلة عددهم - تسجيل بطولات معروفة تناقلتها الأنباء من ميدان المعركة ، لو قدر لهؤلاء أن يعودوا إلى مصر بعد انتصار اليهود ، وهزيمتهم التى يحملون المسئولية فيها للملك والحكومة ، لأمكنهم تهديد الحكومة والنظام ، وربما الثورة عليها وقلبها بالقوة .

الحل هو الحل

وأمام هذا المأزق الذى وجدت حكومة النقراشى نفسها فيه ، سارعت - بنصيحة معروفة من سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا - إلى إصدار قرار حل الإخوان المسلمين فى ٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ ، ثم قام الملك باعتقال جميع أعضاء مكتب الإرشاد للإخوان ، واستبقى المرشد العام حسن البنا ، وكان

هذا الاستثناء غريباً على رجل الشارع ولكن حسن البنا وضع أمام احتمالين : إما أنه استبقى لإتاحة الفرصة لتحركه الذى قد يقود إلى معرفة أعضاء الجهاز السرى الذى يفترض أن يتصل بهم البنا فى مثل هذه الظروف .. أو أن استثناءه من الاعتقال كان بداية لتنفيذ خطة تقضى باغتياله . وقد رأى البنا أنه لن يفوت الفرصة على الحكومة فى كلا الاحتمالين إلا بالتزام بيته وعدم الخروج منه مطلقاً ، وقطع اتصاله بالجميع . ثم كان اغتيال النقراشى الذى جاء على يد عدد من الشباب يتزعمهم «محمود عبد المجيد» الذى ارتدى زى أحد ضباط البوليس ، ليتمكن من دخول وزارة الداخلية ويطلق النار من مسدسه على النقراشى باشا فيقتله دون أن يصيب أحداً من مرافقيه . وحين سمع البنا باغتيال النقراشى أصدر بياناً نشرته الصحف المصرية بعنوان «هذا بيان للناس» وتحته عنوان آخر «ليسوا إخواناً .. وليسوا مسلمين» !

وقد استنكر البنا فى بيانه اغتيال النقراشى منددا ً بالقتل كأسلوب للإنتقام وتوقيع الجزاء .. ومن جانبها حاولت السلطة استغلال هذا البيان حين ادعت أنه كان سبباً فى الاعترافات التى أدلى بها القاتل بعد أن كان مصراً على الإنكار ، وقالت الحكومة فى ادعاءاتها إن معنويات المتهمين قد ضعفت حين علموا بأن حسن البنا قد تخلى عنهم ، وأن ما يعتبرونه جهاداً فى سبيل الله تبين أنه مجرد أعمال تفتقر إلى الأساس الدينى الصحيح . وقد فوجئ أعضاء الجهاز السرى بالبيان الذى أصدره البنا واستنكروا منه استنكاره ، ولكن عبد الرحمن السندى زعيم الجهاز والذى كان يبدو أنه الأقرب إلى فهم ما يقصده حسن البنا ، قال فى تحليله للبيان إن البنا لم يقصد - ولا يمكن له أن يقصد - استنكار عملية الاغتيال ، بل قصد أن يلفت نظرنا أن الآيات الواردة فى سورة «آل عمران» التى تبدأ بقوله تعالى «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» . صدق الله العظيم .

قرآن أم منشور؟!

وحسب تحليل عبد الرحمن السندى للآيات فإن حسن البنا كان يقصد تثبيت أفئدة المتهمين وتشجيعهم على التمسك بالمبدأ وألا يهنوا أو يحزنوا لأنهم الأعلون «إن كنتم مؤمنين» . وبالتالى فإن البنا لم يتخل عن أعضاء جماعته أو يستنكر فعلتهم . بل على العكس كان يحرض غيرهم على المزيد منها . وذلك عند تكملة الآيات «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين امنوا » صدق الله العظيم .

وهكذا فهم عبد الرحمن السندى من بيان حسن البنا ما لم يفهمه غيره من أعضاء الحركة ، فقد كان مستغرقاً فى العمل السرى ، ولهذا قرأ البيان بنفس الطريقة التى اعتاد أن يقرأ بها المنشور

السرى أو «الشفرة» التى يتم التفاهم بها عادة بين الأعضاء فى الحركات السرية .

خطة لاغتيال فاروق

وقد نجح عبد الرحمن السندى فى أن يقنع بقية الأعضاء فى الجهاز السرى أن الأستاذ البنا ما زال على عهده معهم ، وأنه لم يتخل عنهم ، فبدأوا يفكرون فى اغتيال الملك فاروق شخصياً .. فى اليوم الذى أذيع فيه أن فاروق سيكون على رأس المشيعين فى جنازة النقراشى من مسجد القبة الفداوية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ .. وقد أعد الجهاز السرى خطته لاغتيال فاروق وقلب نظام الحكم أثناء الجنازة ، ولكن حسن البنا حين وصلته أنباء تلك الخطة ، رفض ذلك قائلاً إنه لا يريد أن يرتبط بدء الحكم الإسلامى فى مصر بالتعرض لحرمة الموتى ، وحينما قالوا له إنه هو شخصياً معرض للقتل قال إننى أعلم ذلك وأفوض أمرى لله . وبعد ذلك بأقل من شهر ونصف الشهر ، وفى مساء ١٢ فبراير ١٩٤٩، وأمام جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى (رمسيس حالياً) تم اغتيال الشيخ البنا الذى خرج فى تلك الليلة لأول مرة بعد أن فرض على نفسه الإقامة الجبرية تحسباً لاغتياله ، وكان قد ذهب إلى جمعية الشبان المسلمين ليسلم رئيسها صالح حرب وصيته التى تضمنت اختياره لعبد الرحمن السندى وجمال عبد الناصر لزعامة الإخوان فى حالة اغتياله أو وفاته أو غيابه .

وكان واضحاً أن قتلة البنا مجموعة من رجال الشرطة السريين الذين كانوا يعملون بتوجيهات مباشرة من «حامد جودة» رئيس مجلس النواب ، وإبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء ، وكان المنفذ المباشر مدير الأمن العام . وقد عرف فيما بعد أن الملك فاروق كان يتابع شخصياً مسلسل الجريمة أولاً بأول ، حتى أنه كان يتصل بمستشفى القصر العينى الذى نقل إليه الشيخ حسن البنا بعد إطلاق النار عليه من الجناة ، ولم تكن الإصابات التى أحدثتها الطلقات مؤثرة أو تؤدى إلى الوفاة ، ولهذا جاء فى التقرير الطبى أن سبب الوفاة هو النزيف الحاد مما يعنى أن الإصابة لم تكن قاتلة ، وأن الملك هو الذى أمر الأطباء بترك حسن البنا ينزف حتى الموت !

وهكذا انتهت صفحة من كتاب العنف والعنف المضاد بين الإخوان والملك ورجاله .. ربما كان لها ما يبررها ، ولكن ما المبررات لاستمرار العنف من جانب الإخوان مع عبد الناصر والثورة . وهو الذى عمل لخدمتهم وخدمة الإسلام ما لم يفعله حاكم مصرى منذ الفتح الإسلامى وحتى الآن ؟ ..

هذا هو السؤال !



القسم الثانى

محاكمة الإخوان المسلمين

الدين للسياسة

أم

السياسة للدين ؟

هذا هو *السؤال الذى واجهه الإخوان المسلمون منذ أن أسسوا جماعتهم فى بداية الثلاثينات من القرن الحالى .. وإن كانت إجابتهم عن ذلك السؤال تقول بأن السياسة للدين، إلا أن معارضيهم يتهمونهم بأنهم يعملون بالدين للسياسة . أى أن الدين وسيلة لأهداف أعلى وهى السياسة ..*

والغريب أن الإخوان لا ينكرون ذلك فهم يقولون بأنهم يدعون إلى إقامة الحكومة الإسلامية كجزء من الشريعة . وأن الرسول ﷺ كان نبياً وحاكماً. ويرد عليهم خصومهم بالقول : إن آيات القرآن ونصوص الأحاديث الدينية لم تشر إلى ضرورة إقامة الخلافة الإسلامية وأن إشارة الرسول لأبي بكر الصديق بإمامة الناس في الصلاة بدلاً منه أثناء مرضه الأخير، لا تعني أنه ﷺ قد أشار عليه بالخلافة والحكم من بعده بدليل أن المسلمين وليس الرسول هم الذين بايعوا أبا بكر للحكم وكان يمكن أن يبايعوا غيره .

ولما كان الإخوان قد بدأوا نشاطهم كجمعية للإرشاد والوعظ .. فقد كان تحولهم للعمل السياسي أشبه بولادة قيصرية .. ويفسر بعض المؤرخين ذلك التحول بسبب تقاعس أحزاب الأغلبية في مصر، خاصة حزب الوفد، عن التعبير عن طموحات الشعب والتنازلات التي قدمها الوفد أمام الملك فاروق والإنجليز، فخلت الساحة من الحزب الذي يقود الجماهير إلى الإصلاح المنشود فتقدم الإخوان لملء هذا الفراغ، ولذلك كانت الخصومة بين الوفد والإخوان أعلى صوتاً من الخصومة بين أحدهما وبين الملك والسراي .

وإذا كان الإخوان قد تعرضوا لمحاكمات كثيرة – عبر تاريخهم الطويل – فإن محاكمة أفكارهم ومواقفهم لم تتم إلا نادراً .. لذلك ذهبت إلى المستشار مأمون الهضيبي – ابن حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان بعد المرشد المؤسس حسن البنا – وهو – الهضيبي الابن – أبرز أقطاب الإخوان الآن والمتحدث الرسمي باسمهم في مجلس الشعب المصري .. وجرى الحوار* معه – هادئاً مرة وساخناً مرات – حول كثير من مواقف الإخوان وأفكارهم . وللأمانة فقد كان الرجل صريحاً في إجاباته ، رحب الصدر في نقاشه ، دون أن يتحرج من الإجابة عن أي سؤال .. مهما كان ساخناً .

☐ هناك اتهام للإخوان المسلمين يقول بأنكم تطلقون بعض الشعارات المهمة والفضفاضة دون تحديد واضح مثل شعار "الإسلام هو الحل" فأي إسلام تقصدون ؟ هل هو إسلام الريان وشركات توظيف الأموال أم إسلام الخلفاء الراشدين.. أم أن للإسلام مفهوماً مختلفاً لديكم ؟

★ نعم نحن نؤكد أن الإسلام هو الحل وهذا مبدؤنا وعقيدتنا .. وليس هذا شيئاً من عندياتنا أو اخترعناه نحن، لكنه هو حكم الله .."ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين".."إن الدين عند الله الإسلام".."قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" وحينما ننادي بهذه القاعدة فإننا نريد من الناس أن يعودوا إلى أصل مفتقد، ونريد من الدولة أيضاً أن تعود إلى هذا الأصل المفتقد، وهو أن تعود في كل سياستها وفي كل فلسفة الحكم وفي كل أمورها داخلية وخارجية وحربية واقتصادية .. الخ .. إلى الإسلام لتعرف ما هو حكم الإسلام في أية خطوة تخطوها أو قرار تتخذه، أو موقف تقفه، ثم تطبق هذا الحكم، فإذا كان الأصل مفقوداً، فيجب علينا أولاً أن ننادي بتمكين هذا الحكم، ليجتمع

* أجرى هذا الحوار في عام ١٩٨٩ .

المسلمون جميعاً على ضرورة إقامة هذا الأصل غير الموجود أو المفتقد فى الواقع. فإذا اتفقنا جميعاً على هذا الأصل وضرورته فلنختلف بعد ذلك أو نتفق ليس مهماً، المهم هو أن نتفق حول الأصل أو الأساس..وهو حكم الله، قد تختلف الاجتهادات وهذا أمر مقبول، وقد وجد منذ عصر الرسول ﷺ، وعلى سبيل المثال فقد قال الرسول ﷺ لصحابته وجيشه ما معناه "لا يؤمن أحدكم حتى يصلى العصر فى بنى قريظة، أو من كان مؤمناً بالله ورسوله فليصل العصر فى بنى قريظة".. وأمرهم بأن يغزوا بنى قريظة ويخرجوا اليهود منها، فجد المسلمون وسارعوا عدواً نحو بنى قريظة ولكن الشمس مالت للمغيب ولم يصلوا بعد إلى بنى قريظة، ورأوا أنهم لن يصلوا إليها إلا بعد مغيب الشمس، فتوقفوا ليبحثوا الأمر فيما بينهم ، قال البعض لقد أراد الرسول ﷺ أن يحثنا على الغزو والإسراع به قدر طاقتنا ولهذا يجب أن نصلى العصر الآن قبل حلول المغرب .. وقال البعض الآخر ، هذا العصر بالذات يجب أن نصليه فى بنى قريظة حتى لو صليناه بعد العشاء .. هكذا أمرنا الرسول بأن نصلى العصر فى بنى قريظة والذين أخذوا بالرأى الأول صلوا .. والذين أخذوا بالرأى الثانى أجلوا صلاتهم حتى يدركوا بنى قريظة .

الاختلاف أمر وارد

☐ إذن الخلاف فى التفسير موجود منذ عهد الرسول ، ولكن كان هناك اتفاق على الأساس أو الأصل .. وهناك أكثر من مذهب فى الإسلام ، وكلها تعنى الاختلاف فى فهم الأصول وتعنى أيضاً الإجتهاد بالرأى ، إذن حين يكون هناك اتفاق حول الأصل. فالاختلاف فى الفهم والاجتهاد أمر وارد بل ويكون ضرورياً فى بعض الأحيان. ولكن حين يكون هذا الأصل غير موجود .. ويرجعون إلى غير كتاب الله ، فماذا يكون النداء فى هذه الحالة ؟ يكون فى التفاصيل أم فى الأصل ؟

★ نحن ندعو إلى العودة إلى الأصل، وحين يأتى البعض ليناقشنى ويقول لى أين برنامجك الاقتصادى وأين الحلول التى تقدمها ؟ .. كيف أناقش هؤلاء وهم لا يؤمنون معى بالأصل .. كيف أناقشهم فى التفاصيل ونحن أصلاً مختلفون حول الأصل ؟ فى صلب الأصل الذى أتمسك وأؤمن به الإيمان بالغيب.. وطاعة الله.."فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً" ماذا يفعل.. أو بماذا يفيد هذا الاستغفار؟ "يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات" إذن هذه حالة اقتصادية تترتب على حالة إيمانية ..كيف أناقش أحداً لا يؤمن بهذا ؟ لابد أولاً أن يؤمن بصدق وحقيقة هذه الآية أو هذا الوعد، حتى أستطيع أن أناقش معه هذا الموضوع، "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء" إذن الإيمان والتقوى يترتب عليهما فتوحات وبركات من السماء والأرض لا يعلمها إلا الله، كيف تتحقق هذه البركات؟ بالإيمان والتقوى والتمسك بشرع الله وأوامره، فإذا كان الذين يناقشوننا لا يؤمنون بذلك، أو يريدون أن يجرفونا إلى برنامج

اقتصادى قائم على غير الأصول الإسلامية المعروفة. أنا أؤمن بقول الله تعالى: "ياأيها الذى آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله" .

حاربوا الله إن استطعتم

إذا كان النظام الاقتصادى قائماً على الربا، فماذا المطلوب منى أن أفعله؟ أى مسلم يحب أن يحس بأنه فى حرب مع الله، ومن عنده استعداد لأن يغلب الله فليتفضل أما أنا فليس عندى مثل هذا الاستعداد لأن أحارب الله أو أن أقف فى وجه أوامره الصريحة والواضحة، ستقول لى إن الدول الأخرى تقدمت وحلت مشكلاتها بدون الإيمان بالله، أقول لك إن الإيمان بالله معقود على هذه الأمة، "يا أيها الذى آمنوا إن تنصروا الله ينصركم" شرط لوجود هذه الأمة المسلمة وتقدمها – أن تنصر الله، ومع ذلك فإن التقدم الحربى أو العسكرى وحده لا يكفى للحكم على أمة ما بأنها متقدمة، أنظر إلى هذه الأمم التى تقول عنها متقدمة لترى كم عدد السنوات التى قضتها فى محاربة بعضها البعض ، لقد ظلوا يحاربون بعضهم حتى وقت قريب ، وهناك عوامل قوة وتقدم موجودة لدينا ولكننا لا ندركها.

الاتفاق على الأصول

المفروض أن على المسلمين أن يتجمعوا لإقامة الأصل وليس عليهم الاختلاف حول الفروع، يجب أن نتفق حول الأصول الاقتصادية التى جاء بها الإسلام مثل :الربا ممنوع، الاحتكار ممنوع، أن يكون المال دولة بين الأغنياء منا ممنوع، إننى لا أضع نظرية اقتصادية جامدة، أو قالباً اقتصادياً . ولكنى أدعو إلى إحياء الأصول الاقتصادية والتمسك بها ثم الاختلاف حول كيفية التطبيق أو التنفيذ فى الواقع، إنهم يصنعون نظريات اقتصادية على غير أساس، تاركين الأساس الذى يجب أن تبنى عليه النظرية الاقتصادية؟ وعلى سبيل المثال يحدثوننا عن الدعم الاقتصادى لبعض السلع والاحتياجات من أجل الفقراء أو ذوى الدخل المحدود، فى الوقت الذى يتركون فيه الزكاة التى دعا إليها الإسلام وجعلها الله أحد أركانه، أن تأخذ من الأغنياء ما يكفى حاجة الفقراء، هذه هى الزكاة بأبسط صورها والتى ترفضها الدولة كما ترفض كل ما يقوم عليه الإسلام أو ما يقرم على الإسلام . لقد طالبنا وما زلنا نطالب بأن يفتتح مجلس الشعب جلساته مبكراً ربع ساعة فقط لترفع الجلسات أثناء آذان الظهر، ليتمكن الأعضاء من إقامة الصلاة فى موعدها، ولكن هذا الطلب البسيط قابلته الحكومة بالرفض القاطع .وقد تقدمت بطلب موقع عليه من عدد من أعضاء المجلس بينهم أعضاء من الحكومة ذاتها لرفع الجلسة أثناء الصلاة ولكن الحكومة رفضت واقترحنا تأخير بدء الجلسات لبعد صلاة الظهر، بل ورفضت حتى عرض الطلب على المجلس لاتخاذ قرار بشأنه .ا المسألة إننا رأينا الأوضاع على حقيقتها بعد دخولنا مجلس الشعب، وأننا حينما نقول بأن "الإسلام هو الحل"، لا نرفع مجرد شعار لنضحك به على الناس، ولكننا نذكر بقاعدة شرعية. وأصل

إسلامى. وحينما نقول الاحتكام للقرآن، فإننا لا نريد أن يكون الاحتكام لشىء غيره .. وحينما ندخل الانتخابات نرفع شعاراً مختصراً يتناسب مع طبيعة الهدف فنقول "إن الإسلام هو الحل" .. هل تريد منى أن أعبئ أشرطة؟ شعار "الإسلام هو الحل" يشير أمام الناس إلى المضمون الذى نريد أن نقوله والأصل الذى نريده، لسنا نحن الذين نردد شعارات جوفاء أو غامضة، لأن الشعار الذى نرفعه هو شعار له مضمون، يجب أن نتفق عليه أولاً ثم نختلف بعد ذلك - أو لا نختلف - حول المضمون والوسيلة.والحمد لله لقد أصبح الآن كل الذين كانوا يعادون هذا الشعار، مسلمين به مؤمنين بصحته وصدقه .

هيكل يؤيدنا

وفى معرض الكتاب الأخير تحدث الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل عن المشروع الحضارى الذى يجب أن يكون لنا للخروج من المأزق الذى نحن فيه الآن، وقال إن الأمة العربية لا يمكن أن تقوم بغير الإسلام، المهم أن نتفق جميعاً على أن الإسلام هو الحل ثم نناقش بعد ذلك كيف نحل.. وبماذا نبدأ .. وفى هذا يمكن أن نختلف ولكنه اختلاف مقبول ، يجب أن يكون الإسلام هو القاعدة التى تنطلق منها هذه الأمة لتتجاوز أزماتها ومشكلاتها الراهنة . وهذا ما نقوله وما ننادى به .

ومع ذلك نحن لنا اختيارات فقهية ، لأن انضباط حركة الدعوة يقتضى منا أحياناً أن تكون لنا مبادئ واختيارات فقهية ، أولاً لأن فى الشريعة الإسلامية أحكاماً أجمع عليها فقهاء المسلمين وانعقد عليها إجماع الأمة ، وأصبحت معلومة من الدين بالضرورة . وجوب الزكاة مثلاً ، كأصل من أصول الإسلام ، والشريعة الإسلامية .. ليست محل خلاف وخارجة عن مجال النقاش والمجادلة.. هناك أيضاً بعض المسائل التى وردت بشأنها بعض النصوص ولكن هناك خلاف حول تفسيرها بين فقهاء المسلمين، بل داخل المذهب الواحد هناك خلافات أو اختلافات . .. بل هناك اختلاف فى الفتاوى لدى الفقيه الواحد نظراً لاختلاف الظروف ، فالإمام الشافعى مثلاً اختلفت فتواه فى مصر عما كانت عليه حين كان بالعراق فى نفس الموضوع .

الإمام الشافعى لم يغير فتواه كما يقول البعض ، ولكنه صححها ، فحينما جاء إلى القاهرة علم ما لم يكن يعلمه من الأحاديث والأحكام فى العراق فصحح .. والإمام أبو حنيفة عاش فى عصر لم تكن فيه الأحاديث النبوية الشريفة قد جمعت بعد .. فاعتمد على الأصول العامة ثم جاء بعد ذلك عصر جمع الأحاديث وتصحيحها وتنقيتها .. حتى قيل «إذا ثبت الحديث فقد انقطع العذر» .

مصلحة المسلمين هى الشريعة

☐ **أنت تتحدث عن الإجماع ، وضرورة التمسك به كأصل من أصول الشريعة ، وهناك إجماع بين فقهاء المسلمين ينص على أنه « حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله » ..**

★ نعم لقد قالوا جميعاً بالمصلحة، ولكن حين لا يكون فى الموضوع «نص» من القرآن أو الأحاديث..

فإذا كان هناك نص قرآنى أو نبوى انقطع الحوار والنقاش وطبق النص. أما المسائل التى لم يرد بشأنها نصوص، أو وردت نصوص اختلف الفقهاء فى تفسيرها فيطبق فيها الإجماع بمصلحة المسلمين. ولكن حين يكون هناك نص فالمصلحة التى لا توجد مصلحة غيرها هى أن تطبق النص دون مناقشة. وإلا تعرضت النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية للإلغاء أو التعطيل باسم المصلحة . لقد وردت فى الدين نصوص قاطعة يجب الأخذ بها، كذلك هناك بعض النصوص التى يمكن الاجتهاد فى تفسيرها، فقد وردت كأحكام عامة دون تفصيلات.. والمرور فى الشوارع مثلاً.. هذا واجب، فحرام على المسلم أن يظلم أخاه المسلم أو حتى يخيفه بمجرد الإشارة ولكن كيف ننظم المرور فى الشوارع .. عن طريق العسكرى أم عن طريق الإشارات الضوئية فهذا ما نختلف فيه، ولكن ما يجب ألا نختلف فيه هو ضرورة المحافظة على حياة الناس فى الشارع وعلى أموالهم وممتلكاتهم ودمائهم.. أيضاً الشورى -مثلاً- لقد وردت بشأنها نصوص قرآنية ، وأحاديث نبوية.. فيجب علينا إذن أن نتمسك بالشورى كمبدأ إسلامى، ولكن كيف نطبق الشورى؟ عن طريق مجلس الشعب أم مجلس الشورى، أم جمعية أو .. إلى آخر الأشكال المطروحة فهذا ما تركه لنا الإسلام لنقرره وفق مصلحتنا العامة .. فإذا اختلفنا فى ذلك فهو أمر وارد، أما إذا اختلفنا فى الشورى ذاتها كمبدأ فهذا ما لا يجب أن يكون. صحيح هناك بعض الفقهاء الذين قالوا بأن الشورى فريضة إسلامية، ولكن الأخذ برأى المستشارين ليس ملزماً للحاكم بدليل قوله تعالى "فإذا عزمت فتوكل على الله" بعد أن قال "وشاورهم فى الأمر" ولكن فى رأيى الشخصى أن الأخذ برأى المستشارين واجب على الحاكم . وإلا فلا معنى للشورى التى خصها الله بسورة باسم الشورى فى القرآن الكريم .

الاتفاق على ماذا .. والاختلاف على كيف؟

أقول أن الاجتهاد مطلوب ، والاختلاف وارد حول الطريقة والأسلوب الذى يوصلنا إلى غاية أمرنا بها الله تعالى - لقد أمرنا بالشورى ، ولكن كيف نحقق هذه الشورى فهذا ما نتحاور حوله ونختلف عليه .. أما الاختلاف على الشورى ذاتها فهو غير وارد بالمرة أو يجب ألا يكون وارداً بين المسلمين . لقد أمرنا بالعلم ، وزراعة الأرض وعمرانها ، والاهتمام بالقوة للدفاع عن المسلمين وأرض الإسلام ولكن كيف يتم كل ذلك .. فهذا ما يجب أن نقيم حوله الحوار للوصول إلى الطريق الأمثل الذى نطبق به أمر الله وشريعته .

ويواصل المستشار مأمون الهضيبى حديثه قائلاً :

★ بأننا ننادى بالحل الإسلامى ونقبل الخلاف مع الآخرين حول الأسلوب فقط أما الأساس أو الأصل.. وهو الشريعة الإسلامية فلا نقبل من أحد أن يخالفنا فيه .

ويضيف قائلاً :

ورغم ذلك فإن خياراتنا الفقهية التى نراها ضرورية لضبط سير الدعوة الإسلامية وبث مفاهيم يجب أن نجمع الناس حولها .. مثلاً فيما يتعلق بالنظام السياسى هناك آراء فقهية تقول بأن الشورى ملزمة ، وأن الحاكم هو الذى يختار من يشاورهم فى الأمر ، وأن رأيهم لا يكون ملزماً له بالاتباع.. وقد أعلنا نحن رأينا الذى نعتقد أنه الصواب لدين الله - سبحانه وتعالى - وقلنا أن الشورى أمر واجب ولازم وأساس من أسس الدولة الإسلامية ولا يمكن أن تكون هناك دولة إسلامية تطبق شريعة الله دون نظام صحيح للشورى يطبق على أوسع مدى ممكن والشورى يجب أن تكون ملزمة ويجب على الحاكم أن يأخذ برأى الذين شاورهم فى الأمر بمعنى أن القرار الذى صدر من مجلس الشورى يجب أن يكون ملزماً للحاكم ولا يجب أن يتجاوزه أو يتخطاه ، كذلك يجب أن يكون أهل الحل والعقد .. وأعضاء مجلس الشورى بالانتخاب الحر المباشر من جموع المسلمين .. وهذا ليس أمراً جديداً علينا .. فقد قرر الإمام الشهيد حسن البنا منذ نشأة جماعة الإخوان المسلمين علىٰ يديه أن النظام الانتخابى المعمول به فى هذه العصور التى نعيشها هو أقرب ما يكون إلى النظام الإسلامى بما فيه من الضمانات التى وضعها فقهاء القانون والدستور وعن طريق هذا النظام الانتخابى يمكن تعيين أهل الحل والعقد الذين يقدمون المشورة للحاكم .. هذا - مثلاً - من الاختيارات الفقهية التى تنادى بها جماعة الإخوان المسلمين إيماناً منا بصحتها وسلامتها .

نؤمن بالتعدد الحزبى

هناك أيضاً مبدأ التعدد الحزبى الذى نؤمن به فى جماعة الإخوان المسلمين .. بل وقلنا أنه مبدأ متحقق منذ بدء الإسلام وقد سبق أن أشرت لك إلى الاختلافات بين الجماعات الإسلامية وفقهاء المسلمين وهى أشبه ما تكون بالاختلافات بين أحزاب سياسية بمعناها الذى نعرفه الآن ولكن هناك فرقاً بين التعدد الحزبى المطلق وبين التعدد الحزبى فى الإطار الإسلامى بمعنى أن النقاط التى عليها إجماع بين فقهاء المسلمين ، والمعلومة من الدين بالضرورة، والتى خرجت عن نظام الحوار والاجتهاد.. هذه مسائل لم تعد محل خلاف بين المسلمين حتى يكون هناك تعدد حزبى على أساسها فهذا من البديهيات أما فيما عدا ذلك من الأمور محل الاجتهاد والخلاف بين المسلمين .. فتصلح أن تكون أساساً لتعددية حزبية كيف نرقى بالتعليم أو الزراعة أو الجيش ؟ هذا ما تختلف فيه الأحزاب .

نحن لنا اختيارات فقهية فيما يتعلق بالمرأة - مثلاً - نحن نقول بأنه يجب على المرأة أن تتعلم وأن تتثقف ، ويجب أن يكون هناك فرض كفاية من النساء اللائى يعملن فى بعض أمور الحياة مثل التدريس للأولاد والبنات والتمريض وضابطة شرطة تقوم بالتفتيش أو التعامل مع السيدات والنساء.. نحن نرى أنه يجب أن يكون هناك عدد كاف من النساء للقيام بمثل هذه الأعمال دون أن تهان كرامتها أو يخدش حياؤها مع ضرورة اللباس الشرعى والحفاظ على المظهر الإسلامى اللائق .

إذن فضلاً عن المبدأ العام الذى نريد من الأمة أن تجتمع عليه لنا بعض الاختيارات الفقهية التى تؤكد وجهة نظرنا فى بعض الأمور الأساسية دون الدخول فى تفصيلات نرى أنه ليس من الضرورى الدخول فيها مع غياب الأصول والأسس .

الشورى الداخلية

□ لقد قلت بأنكم تنادون بالشورى وتعتبرونها أساساً من أسس قيام الدولة الإسلامية .. ولكن هناك من يتهمكم بأنكم لا تطبقون الشورى كنظام داخلى فيما بينكم وأنكم تشترطون على من ينضم إليكم القسم «للإمام» أو المرشد على السمع والطاعة .. فما ردك على ذلك ؟

★ إن من يقول هذا هو أبعد الناس عن معرفة حقيقتنا نحن لا نبرم أى قرار فيما بيننا إلا على أساس من الشورى التى نطبقها إلى أبعد مدى ورغم أننا مطاردون من أجهزة الأمن والمباحث كما أن القانون يمنعنا واجتماعاتنا محرمة .. والمباحث تترصدنا إلا أننا مع ذلك نحقق فيما بيننا ما لا يحققه الحزب الوطنى أو أى حزب آخر من الأحزاب ومنذ عهد الإمام الشهيد حسن البنا كانت هناك هيئة تأسيسية وهناك مكتب استشارى وهناك عدة شعب ولكل شعبة منها إدارة .

إذن كيف يمكن ألا تكون هناك شورى .. وهناك إلى جانب المرشد العام كل هذا العدد من المستشارين والمديرين ؟

وماذا عن البيعة

□ ولكن نظام «البيعة» المعمول به لدى الإخوان يقتضى المبايعة على السمع والطاعة والقسم على المصحف بالدين بها للمرشد فكيف توفقون بين السمع والطاعة وبين الشورى ؟

★ نحن لا نبايع بيعة «الإمام» المعروفة لدى بعض المسلمين .. نحن نبايع بيعة خاصة بالجهاد فى سبيل الله لإقامة الدعوة الإسلامية ولا نبايع المرشد – مثلاً – لأن يكون له حق إقامة الحدود الشرعية أو إعلان الحرب..نحن نبايع على الطاعة فى حدود الشرع وما أمر به الله ..وبدون البيعة كيف تكون هناك جماعة أو تنظيم؟ لو أننا اجتمعنا.. عدد من الناس وبحثنا مشكلة ما وكان لكل منا رأى فيها يختلف عن رأى الآخرين فهل يعنى ذلك أن لكل منا الحق فى العمل برأيه هو دون رأى الآخرين؟

□ أنت تقول بالتعددية الحزبية كاختيار فقهى لجماعة الإخوان المسلمين .. ولكن هناك بعض الجماعات الإسلامية تقول بألا أحزاب فى الإسلام .. وهناك من الزاوية الشرعية لا يوجد غير حزبين اثنين فقط : حزب الله ، وحزب الشيطان ، وإنكم أنتم حزب الله ، وما عاداكم هو حزب الشيطان وإنكم أنتم المسلمون فقط والذين يختلفون معكم ليسوا من المسلمين حتى وإن نطقوا بالشهادتين وأقاموا الصلاة .. فكيف توفق بين الرأيين ؟ ومن نصدق ؟ هل نصدقك أنت أم

تصدق الآخرين ومن منكم يتحدث باسم الإسلام ويعبر عنه فى هذا الموضوع ؟

★ حزب الله – كما قلت لك – هو الذى يتمسك بأصول الإسلام ومبادئه الأساسية التى لا خلاف فيها ولا يخرج عنها أبداً وهى المسائل التى وردت بشأنها آيات وأحاديث نبوية قاطعة مثل وجوب الزكاة .

نحن والشيوعيون

□ **ولكن هناك أحزاب سياسية تختلف معكم فى ذلك مثل الشيوعيين فهل تسمحون لهم بالمشاركة معكم فى نظامكم التعددى ؟**

★ الشيوعى إذا قال لا إله إلا الله أسمح له بالمشاركة ، ومحمود أمين العالم قال لى نحن مسلمون ولكنا شيوعيون .. فهذا شأنه ، إنه مسلم ولكنه ينادى بنظام اقتصادى معين أستطيع أن أناقشه فى هذا النظام وأثبت له خطأه ،وإذا كان مسلماً فهذه مسألة بينه وبين الله ، ولم يأمرنا الله بالتفتيش عما فى قلوب الناس ، ومبدأنا منذ نشأنا هو أننا دعاة ولسنا قضاة ، نحن لا نحكم على الناس ولا نكفر أحداً حتى لو اعتقدنا فى أحد أنه كافر فلا نحكم عليه بالكفر ، وهناك فرق بين ما نعتقده وبين ما نحكم به ، لأن الحكم عليه يترتب عليه بعض الأمور .

□ **ولكنكم تكفرون المجتمع كله وتقولون : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" .**

★ من قال ذلك ؟

□ **سيد قطب .. الذى حكم على المجتمع الإسلامى بأنه مجتمع جاهلى بعيد عن الإسلام وإننا لا نعيش فى « دار الإسلام » .**

★ سيد قطب لا يمثل الإخوان المسلمين .. هناك فرق بين أن نقول بأن سيد قطب داعية إسلامى كبير ومفسر عظيم من مفسرى الإسلام العظماء وإنه وضع كتاب «فى ظلال القرآن» الذى أجمع عليه الفقهاء وقالوا بأنه من أفضل الكتب التى فسرت القرآن الكريم .. فرق بين ذلك كله وبين أن نقول بأن سيد قطب هو مفكر الإخوان أو ممثلهم .. وهناك عبد القادر عودة الذى كان وكيل الجماعة والذى أصدر كتباً عن التشريعات الجنائية فى الإسلام فلم يقل أحد أنها تمثل برنامج الإخوان .. لأن هناك فرقاً بين أن يكون عودة وكيلاً للجماعة وبين مؤلفاته التى تعبر عن وجهة نظره هو الشخصية فى بعض الأمور . أما وجهة نظر الإخوان أو برنامجهم فهو الذى يصدر عن الجماعة كلها وليس عن شخص واحد فيها مهما كانت مكانته بينها ، لقد أحدث سيد قطب دوياً .. لماذا ؟ لأنه كان أديباً وقوى الحجة ، سلس العبارة وقد فتح الله عليه بنوع من التفسير المستحدث .

□ **يعنى سيد قطب لا يمثل الإخوان ؟**

★ هناك فرق بين أن نحترم مؤلفات سيد قطب ونجلها وبين أن نقول أنها تمثل الإخوان لأن لدينا قاعدة

تقول بإطلاق حرية الفكر والتعبير والكتابة ، أما ما يمثل برنامج الإخوان أو فكرهم، فهو ما يصدر عن قيادات الجماعة ، هناك مؤلفات كثيرة لعدد غير قليل من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين فهل تمثل كلها برنامج الإخوان المسلمين أو وجهة نظرهم ، ليس ذلك صحيحاً بالضرورة ، فكل يعبر عن رأيه هو وليس عن وجهة نظر الإخوان التى لا يعبر عنها غير قيادات الإخوان .

اين برنامج الإخوان ؟

☐ إذن أين برنامج الإخوان المسلمين ؟ هناك من يتهمكم بأنكم تعملون بغير برنامج وأنكم غير متفقين فيما بينكم على كثير من الأمور وأن الاختلافات فيما بينكم أكبر من الخلافات بينكم وبين خصومكم ؟

★ حينما كانت جماعة الإخوان المسلمين موجودة كجماعة .. كان لها برنامجها وكانت لها أسسها وكانت منشورة ومعروفة .

☐ ألم تدخلوا عليها تعديلات منذ نشأة جماعة الإخوان المسلمين وحتى الآن ؟

★ الأسس والمبادئ لا تتغير ولكن مواجهات الواقع هى التى يجب أن تتغير فمشكلات اليوم الاقتصادية غيرها عند نشأة الجماعة .. وأيضاً المشكلات السياسية تغيرت بطبيعة الحال .. فالمشكلة الأولى عام ٤٨ كانت جلاء الانجليز عن مصر ومنع قيام دولة إسرائيل ولكن الحال تغير الآن .. فهل يعقل أن نطالب بإخراج الإنجليز من مصر أو منع قيام دولة إسرائيل ؟

إن برنامجنا الأصلى هو دعوة الناس للعودة إلى الأصول والمبادئ الأساسية وأن نحتكم لله وللإسلام.. هذا هو ما ندعو إليه وهو أمر عظيم وخطير لأن عدم احتكامنا للإسلام له عواقب خطيرة.. ولهذا أقول : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" . "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" . إذن نحن ننبه إلى هذا الأصل ونذكر به ونطالب المسلمين بأن يعودوا إلى هذا الأصل وأن يحتكموا إليه ويؤكدوه .

الفرق بين قانون وقانون

أريد أن أقول لك شيئاً لتعرف الفرق بين القانون الوضعى وبين القانون السماوى .. فحينما نتحدث عن القانون الوضعى نقول بأن هذا مخالف للقانون أو أنه مطابق للقانون ولكن إذا تحدثنا عن القانون السماوى نقول هذا حرام .. وهذا حلال أو هذا شرعى وهذا غير شرعى .. ماذا يعنى هذا ؟ يعنى أن هناك آخرة وثواباً وعقاباً وحساباً .. أى أنك تعيش دائماً متذكراً للصلة بينك وبين ربك.. أما فى القانون الوضعى فإنك تتذكر الصلة بينك وبين الحكومة فقط .. لهذا نحن نعتبر المرء الذى يقول : «لا إله إلا الله» ثم يعصى ، مسلماً ولكنه عاص أو فاسق وليس كافراً .. لكن حينما ينكر شريعة الله فهذا هو الكفر .. والمسألة شائكة ومعقدة عقائدياً وواقعياً .

إذن نحن ننادى بتطبيق حكم الله والاعتراف به فإذا اتفقنا على ضرورة إقامة شريعة الله نناقش بعد ذلك كيف نقيم شريعة الله ، كما قلت قبل ذلك ، برنامج الإخوان المسلمين إذن هو الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والإعتراف بها والتذكير بما تعنيه .. إذن نحن ندعو ولا نشرع .. وحينما نتفق على الأصول والأسس نقيم الحوار حول كيفية تطبيق شرع الله وما هى الطرق السليمة والصحيحة لذلك .. وهو أمر يشاركنا فيه كل المسلمين الذين اتفقوا معنا على الأصول وانطلقوا معنا من نفس القاعدة .. حينئذ يكون السؤال : ما هو برنامجكم لحل القضية الفلانية ؟ أقول لك الإجابة ، واستمع منك إلى إجابة أخرى .. ونتفق حول أيهما أصح لصالح المسلمين .

نحن والدولة الدينية

☐ **إذن ما هو الفرق بين ما تقوله الآن وبين إقامة الدولة الدينية التى يتهمكم البعض بالدعوة إلى إقامتها ؟**

★ هذا اتهام يطلقه البعض من سيئى النية لتخويف الناس . لقد وجدت الدولة الدينية حينما كان الحاكم يقول إنه ناطق بلسان الله ، وأن الله هو الذى يحكم وليس هو ، وبالتالى فإنه يحكم «بالحق الإلهى» وليس هذا موجوداً فى الإسلام ، ليس من الإسلام ادعاء الحاكم بالحق الإلهى ، وفى الإسلام إذا قال ولى الأمر إنه يحكم بوحى من الله فإن الناس سوف يقتلونه .

☐ **أنت هكذا تبرر مقتل عثمان بن عفان ؟ فقد قال لأبى ذر : إننى خليفة الله ولست خليفة رسول الله، وعثمان كما هو معروف هو ثالث الخلفاء الراشدين .**

★ لقد قيل هذا الكلام لتشويه صورة عثمان بن عفان ، الذى كان يعلم أن أبا بكر وعمر قالا «أطيعونى ما أطعت الله فيكم» أى أن طاعة الناس له مرهونة بطاعته لله ، ولا يمكن لعثمان أن يكون قد قال ذلك .

ولا يمكن أن يكون عثمان قد ادعى العصمة أو الابتعاد عن الخطأ ، حينما يقول إننى خليفة الله فإنه يعنى أنه معصوم من الخطأ ، ولا يمكن لعثمان الذى جاء بعد رجل مثل عمر بن الخطاب الذى كان يقول : إنما أنا أجير ، ولا طاعة لى عندكم إذا عصيت الله ، لا يمكن أن يقول عثمان ذلك ، فلا معصوم بعد النبى عليه الصلاة والسلام ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا النبى عليه الصلاة والسلام لأن كل ابن آدم خطاء ، وما من إنسان إلا وله خطأ ، هذه هى عقيدتنا ، وإذا كانت الدولة الدينية تعنى أن ننادى بالشريعة الإسلامية وأن نطبقها فى حياتنا ، فنحن ننادى بدولة دينية ، ولكن إذا كان معناها أن يأتى ولى الأمر ليقول إن كلامه هو الوحى ، وإنه معصوم ، وأن الباطل لا يأتيه من بين يديه ، فهذا ما لا ننادى به .

نحن نقول أن الأمة أو الشعب هو مصدر السلطات، بل إن الرسول ﷺ ما تولى السلطة إلا بالبيعة، البيعة الصغرى والبيعة الكبرى ثم بيعة الأنصار والمهاجرين . لقد كان للرسول ﷺ صفتان :صفة

النبوة وأنه رسول يوحى إليه، وصفة ثانية وهى أنه حاكم ورئيس دولة ، وبعد الرسول ﷺ لم يعد أحد يتمتع بالصفتين معاً، فأى حاكم هو حاكم فقط وليس نبياً أو له صفة من صفات النبوة.. ولكن كيف يولى الحاكم؟ هل نزل الوحى بأمر توليته أم أنه يولى بالاختيار والشورى ؟ نحن لدينا شىء لا يوجد لدى أصحاب أية ديانة أخرى.. إنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. هذا هو الدستور الذى نبنى عليه حياتنا وحكمنا على الأمور والمواقف، نقيس عليه أعمال سيدنا عثمان أو غيره إذا كان قد أتى بأى ضرر ، ونقيس عليه معاوية ابن أبى سفيان ونقول له هل أخطأت أم أصبت ؟

الحاكمية لله

□ **ولكن هناك شعار « الحاكمية لله » الذى يرفعه بعض مفكرى الإخوان المسلمين ويقولون لا حكم لبشر والحكم لله .. ألا يتناقض كلامك الآن مع هذا الشعار الذى رفعه كثير من مفكرى الإخوان وقياداتهم؟**

★ الحاكمية هذه مجرد لفظ ، ليس مهماً فى ذاته ولكن المهم هو ماذا يعنى ؟ وما هو مضمونه ؟

□ **وما هو مضمونه فى رأيك ؟**

★ الحاكمية معناها «إن الحكم إلا لله» كما قال الله فى كتابه العزيز وليس معناها أن الوحى ينزل على الحاكم ليقول له افعل كذا أو لا تفعل كذا ، "وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله" هذا هو معنى الحاكمية ، وليس معناها أن أحداً يحكم باسم الله أو نيابة عنه ، فالله حكم وأمر وعلينا تنفيذ ذلك الحكم دون مناقشة أو أعذار. لقد أمرنا الله بألا نشرع بغير شريعته ، وألا نحكم بغير ما حكم ، فإذا كان تنظيم الصحة - مثلاً - حكماً إلهياً فعلينا أن ننفذ الحكم ولا عذر لنا ولكن كيف ؟ فهذا شأننا نحن ، لقد ترك الله لنا تفصيل الأحكام وفقاً لظروفنا وعصورنا وإمكاناتنا . ولكن علينا أن ننفذ الحكم ولا عذر لنا فى ذلك . لا يصح أن أصدر تشريعاً أحلل فيه الخمر الذى حرمه الله أو الربا أو الزنا أو غيره .

□ **ولكن المفتى المصرى أصدر فتوى بإباحة فائدة البنوك ونفى عنها شبهة الربا ، وأنتم تقولون بأن فائدة البنوك حرام ؟**

★ المفتى لم يقل أن الربا حلال ولكنه قال بأن الفائدة التى تعطيها البنوك على الودائع بها ليست ربا وأنا أقول أنها ربا واضح .

□ **من نصدق إذن ؟ هل نصدق فتواكم أم نصدق فتوى المفتى ؟ وما هو الفيصل بين الفتويين ؟**

★ هذا يقع فى باب الاجتهاد .. وهل يوجد دستور فى الدنيا لا يختلف الناس عليه ؟

□ أنا أسأل عن الصحيح .. أين الصحيح هنا ؟ هل هو عندكم أم عند المفتى أم عند غيره من العلماء؟

★ أنت حر فيمن تتبع رأيه ، استفت قلبك ثم قرر .. وهذا شيء ليس جديداً فقد كانت الخلافات بين الفقهاء منذ بداية الدين ، والخلاف بين المذاهب الإسلامية شائع ومعروف ، وكلهم مسلمون وكلهم مجتهدون . وحينما أراد الخليفة أن يجمع الناس على «الموطأ» وحده رفض الإمام مالك ذلك وقال له لا تجمع الناس على كتاب واحد ، حتى لو كان هذا الكتاب كتابى أنا .. لأننى لست الوحيد الذى آتاه الله علماً ، لقد أتى الله العلم لغيرى أيضاً .. إلى هذا الحد كان رفض المسلمين للاستبداد الذى لا يتناسب مع الشريعة الإسلامية .. والشورى فى جوهرها تعنى الاختلاف ، ولو كان الناس متفقين فى كل شيء لما كان هناك معنى للشورى .

□ لقد نادى سيد قطب « بالمستبد العادل » كما نادى به أيضاً محمد عبده وهناك كثيرون من مفكرى الإسلام يرون أن صلاح الدنيا والدين لا يكون إلا بالمستبد العادل ؟

★ أنا لا أعرف أن سيد قطب قد نادى بذلك، ومع هذا لا شأن لى بسيد قطب فلينادِ بما أراد وما يريد، أنا أتحدث عن مبادئ الإخوان المسلمين، ومقولة المستبد العادل تتضمن فى رأيي تناقضاً، فإما أن يكون الحاكم مستبداً وإما يكون عادلاً، فالحاكم المستبد حاكم ظالم ولا يمكن أن يكون عادلاً.

□ هناك من يقول بأن عمر بن الخطاب كان عادلاً وكان مستبداً فى عدله أو لعدله ؟

★ ليس هذا صحيحاً .. لقد كان عمر يشاور المسلمين ، خاصة على بن أبى طالب ، وقال قولته الشهيرة : «أخطأ عمر وأصابت امرأة» .. ورجل يقول ذلك معترفاً بخطئه لا يمكن أن يكون مستبداً أو يعرف معنى الاستبداد .

□ قال البعض : خالف عمر أهل الشورى ونفذ رأيه هو فى أمور كثيرة ومنها مسألة أرض السواد فى العراق ؟

★ لا .. لم يحدث ذلك .. ولم ينزع عمر أرض السواد من واضعى اليد عليها إلا بموافقتهم . فأقام غيرهم عليها وجعل ريعها لهم لأنه رأى أنهم إذا أقاموا فى الأرض لفلاحتها فلن يجد من يحارب لنشر الدين . وقد وقف عمر هذا الموقف تفسيراً للأية الكريمة "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" فأراد عمر أن يحتفظ بحق «الذين جاءوا من بعدهم» ، فقد رأى أن الله لن يفتح على المسلمين بأرض أغنى من أرض السواد بالعراق فإذا خص بها هؤلاء فقط فماذا يبقى للأجيال المقبلة ؟ ولهذا رفض أن يمتلكها هؤلاء ولكنه جعل ريعها لهم . فجعل لهم حق المنفعة ولم يجعل لهم حق الملكية . وقد أقنعهم عمر بذلك وأرضاهم أيضاً .

الخلاف وارد للمصلحة

□ ولكن عمر خالف فى أمور عديدة ، فقد أوقف العمل بالحدود فى عام الرمادة - مثلاً - كما خالفه فى المؤلفة قلوبهم ؟

★ قضية المؤلفة قلوبهم قضية سياسية وليست دينية ، وهل ألف الرسول - عليه السلام - قلوب كل الكفار أم أنه اختار فقط البعض منهم ليعطيهم بعض الأموال ليكف أذاهم عن المسلمين . هذه مسألة اختيارية حين يرى ولى الأمر أن يستميل البعض لمصلحة المسلمين .. وحينما تنعدم المصلحة ينتهى كل شىء .. وهذا ما فعله عمر . فقد قوى الإسلام ولم يعد كما كان فى عهد الرسول - عليه السلام - فلماذا إذن أدفع أموالاً للكفار وأنا لم أعد أخاف بطشهم أو أذاهم على المسلمين ؟ هذه هى نظرة عمر للقضية . فقد انتهت المصلحة باستمالة بعض الكفار . فتوقف عن استمالتهم التى بدأها الرسول - عليه السلام - لمصلحة المسلمين .

إذن هناك سلطة تقديرية لولى الأمر تقتضى التفكير والتدبير فهو ليس قطاراً لا يحيد عن قضبانه وإلا سقط بركابه، هذا جمود يتنافى مع الشريعة الإسلامية السمحة، ولو كان الله يرى صالح الدنيا فى الجمود لخلقنا جامدين. ولكنه جعل الدنيا متغيرة وجعلنا فيها متغيرين. هناك ثوابت لا تناقش فيها مثل "السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" ، و"الزانى والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" هذا لا نستطيع أن نغيره .. ولكن هناك بعض الأمور التى بنيت على التغيير وشأننا أن نغيرها.

فرق بين التوقف والإلغاء

□ ولكن عمر أوقف العمل بالحدود أو الثوابت التى تتحدث عنها ؟

★ هذا غير صحيح .. هناك فرق بين أن أوقف الحد وبين أن ألغيه .. إننى أقيم الحد حين تتوافر شروطه .. وأوقف الحد حين لا تتوافر شروطه ، فهل ترك عمر رجلاً غنياً سرق ولم يقم عليه الحد ؟ لقد أوقف الحد على الفقراء الذين كادوا يموتون جوعاً فسرقوا ليأكلوا .. أما الأغنياء الذين يسرقون فيجب إقامة الحد عليهم .

□ يقول البعض الآن إننا لا نستطيع إقامة حد السرقة فى ظل حالة الفقر التى تعيشها الأغلبية ولا حد الزنا فى ظل أزمة الإسكان التى تمنع الشباب من الزواج الذى يقيهم الوقوع فى براثن الزنا ؟

★ كأنك تريد أن تقول أننا يجب ألا نقيم حد السرقة على الغنى الذى سرق مال الفقراء .. فهل هذا منطق ؟

□ لا .. إننا نقول بوقف الحد على الفقراء الذين يسرقون ليأكلوا كما فعل عمر .

هذه مهمة القاضى وليست مهمتنا نحن . المهم الآن أن نقر إقامة الحدود وللقاضى أن يحكم إذا

كانت شروط إقامة الحد قد توافرت أو لم تتوافر .. لأن شروط الحد أن تتوافر للإنسان حاجته من المأكل والملبس والدواء الذى يحفظ عليه صحته أما الزنا فالمسألة فيه مختلفة لأن الرسول قال : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أى أن هناك بديلاً للزواج وهو الصوم وليس الزنا . إذن يجب أن يقام حد الزنا حتى على الذين لم يستطيعوا الزواج وذلك حتى لا تشيع الفاحشة بين الناس . أما المأكل والملبس فلا بديل لهما .

الشريعة

☐ **إذن تطبيق الشريعة الإسلامية مرتبط بالشروط والظروف .. فهل ترى أن الظروف تسمح الآن بتطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر مثلاً ؟**

★ الشريعة ليست هى الحدود فقط ، تطبيق الحدود هو المرتبط بالشروط والظروف ولكن من قال أن الشريعة هى الحدود فقط ، الشريعة أكبر وأوسع من ذلك بكثير .. الشريعة فى برامج التليفزيون وفى التعليم وفى الاقتصاد .. ومع ذلك فإن الحدود يمكن إيقافها وعلى القاضى أن ينظر فى الشروط التى وضعها الشارع لإقامة الحد ، فإذا توفرت تلك الشروط فعليه إقامة الحد ، أما إذا لم تتوفر فعليه إيقاف العمل بالحد ، والقاضى الذى يقطع يد أحد الجوعى لأنه سرق تقطع يده هو ، أما إذا سرق أحد الناس من ميسورى الحال فلا يجب أن نقول للقاضى لا تقطع يده لأنك لم تقطع يد الفقير الذى سرق ، هذه مهمة القاضى وليست مهمة الشارع .. الأغنياء هم الذين يقولون هذه التبريرات .. لأنهم هم الذين يسرقون والفقراء لا يسرقون لأنهم لا يجدون ما يسرقونه .. الأغنياء الآن واللصوص هم الذين يقفون فى وجه إقامة الحدود لأنهم يخافون على أنفسهم وعلى أيديهم من القطع .. فإذا لم تكن لصاً فأنت لا تخاف على يديك من القطع لأن اللص هو الذى يخاف على يده وبالتالى فهو الذى لا يريد أن نقيم الحد بقطع يد السارق . .

تغيير المنكر والإرهاب

☐ **أنتم تقولون بتغيير المنكر باليد عملاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » وهناك من يتهمكم بالإرهاب والعنف والتطرف بسبب ذلك .. فما هو مفهومكم حول ذلك ؟**

★ هناك فرق بين تغيير المنكر وبين الانتقام أو القصاص ، تغيير المنكر عندنا ليس مسألة قصاص ولا مسألة انتقام .. تغيير المنكر ليحل محله المعروف .. فإذا لم يكن المعروف هو الذى سيحل محل المنكر الذى يراد تغييره بل سيحل محله منكر أشد وطأة ، أو منكر أخف وطأة ، وتغيير المنكر درجات إما بالقلب أولاً ثم باليد . .

☐ **ولكن الرسول الكريم قال باليد أولاً .. وبالقلب أخيراً ؟**

★ لا .. لا بد أن يكون القلب أولاً حتى ولو كان التغيير سيتم باليد حتى يكون التغيير لوجه الله وليس انتقاماً لابد أن يكون القلب مصاحباً لليد .. حتى يكون التغيير امتثالاً لأمر الله الذى لا يرضى عن هذا المنكر فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى .. لابد أن يكون القلب مع اليد .

□ **ولكن نص الحديث يقول : «بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان» والفاء كما هو معروف تفيد الترتيب ؟..**

★ الأحاديث النبوية تكمل بعضها بعضاً .. قال الرسول : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» والنية محلها القلب . إذن النية تأتى قبل أى عمل تقوم به سواء أكان باليد أو باللسان أو بالقلب ..فإذا لم تكن تستطيع تغيير المنكر باليد والقلب فغيره باللسان والقلب .. فإن لم تستطع فبالقلب فقط .. وهذا أضعف الإيمان كما قال الرسول الكريم ص .

يواصل المستشار مأمون الهضيبى دفاعه عن اتهام البعض للإخوان المسلمين بالإرهاب بدعوى تغيير المنكر باليد كما أمر رسول الله ص فيقول :

إن تغيير المنكر شىء والانتقام أو القصاص شىء آخر .. وإن تغيير المنكر واجب بالقلب حتى ولو تم باليد . فالرسول قال لنا «إنما الأعمال بالنيات» وقال أيضاً «النية محلها القلب» فالقلب والنية إذن يسبقان أى عمل سواء كان باليد فعلاً أو باللسان قولاً .

□ **ولكن هناك من يقول بأن تغيير المنكر باليد تكليف للحاكم فقط دون غيره من المسلمين ؟**

★ ليس فى كل الحالات .. خذ مثلاً على ذلك .. فلو إننى رأيت ابنى بالبيت قد أتى منكراً هل انتظر الحاكم ليغير المنكر الذى أتاه ابنى فى بيتى أم أغيره أنا بيدى ؟ ولو أنى وجدت صوراً عارية معلقة على الحائط - مثلاً - هل أستدعى الحاكم لينزعها أم إننى أقوم بنزعها بيدى .. وهكذا يكون تغيير المنكر باليد تكليفاً لكل المسلمين كل حسب إمكانياته . تغيير المنكر فى البيت باليد مسئولية رب البيت ومسئولية تغيير المنكر فى المجتمع تقع - ولا شك - على الحاكم قبل غيره .. «فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» .

لو أننى مددت يدى على أحد فى الشارع لتغيير المنكر لمد الناس أياديهم على ، خاصة إذا كانت المسألة المراد تغييرها محل خلاف وليست موضع إجماع . وتغيير المنكر فى الشارع باليد سيجعل المسألة فوضى . ويتسبب فى منكر أكبر من المنكر المراد تغييره ، سيتقاتل الناس بالأيدى والأرجل وستتحول المسألة إلى فوضى ، إذن ليس هذا مطلوباً من الناس ولكنه مطلوب من ولى الأمر ، لأنه هو صاحب السلطة . وهو الذى يستطيع التدخل فى الشارع دون اعتراض من أحد .. وهذا ليس كلامى أنا ولكنه كلام حسن البنا .

□ **لقد دعا حسن البنا إلى التغيير بالقوة واستخدام العنف ؟**

★ ليس ذلك صحيحاً .. فحينما خرج الإخوان المسلمين فى المنيا لتحطيم الخمارات والبارات ، أرسلوا

برقيات إلى حسن البنا يقولون فيها «لقد حطمنا الخمارات وكسرنا البارات والله أكبر والمجد للإسلام» . قال حسن البنا رداً على ذلك : ليست مسئوليتنا منع الخمر وتحطيم الحانات ولكن مسئوليتنا هى تغيير الحاكم لنجىء بالحاكم الذى يغلق الخمارات والحانات ويمنع الخمر .

بالحكمة والموعظة الحسنة

☐ كيف تأتون بهذا الحاكم ؟

★ نأتى به بالدعوة .. بالحكمة والموعظة الحسنة وليس بالقوة أو بالعنف .. ولكن لا فائدة من تكسير الخمارات لأنه فى اليوم التالى سوف تأخذ الحكومة من أموال المسلمين لتعويض أصحاب الخمارات المكسرة .. فأين الفائدة إذن إذا كانت الحكومة ستأتى بالعساكر ليحرسوا الخمارات والحانات . الأفضل هنا أن ندعو إلى الحكومة التى تأمر بإغلاق الخمارات بل وتعاقب السكارى وتقيم عليهم حدود السكر .. هذا كلام واضح عندنا ولا لبس فيه أو غموض ، لو أن عندى بنتاً رفعت الخمار وخرجت من المنزل سافرة أو بملابس غير محتشمة .. ماذا أفعل معها ؟ هل أضربها لتترك البيت وتنطلق فى الشارع لتأتى بمنكرات أشد وأفظع أم أعاملها بالحسنى وأدعوها بالمنطق والهدوء ؟ ولو أنى ضربت ابنى على منكر آتاه فضربنى .. ماذا أفعل معه ؟ إذن يجب الاختيار بين وسائل التغيير حسب الظروف وحسب المصلحة .. حتى لا أغير المنكر بمنكر أشد وأفظع .

☐ ولكن هناك من رجال الدين من قال بذلك وقلتم عليهم إنهم مشايخ السلطة والحكومة وإنهم يعملون فى خدمة السلطة ؟

★ لست مسئولاً عمن يقولون .. أنا هنا أتحدث عن مبادئنا ، مبادئ الإخوان المسلمين التى أعرفها ، لماذا قالوا عنهم شيوخ سلطة ؟ لأن الحكومة تترك هؤلاء يقولون وتمنع الآخرين الذين يعارضونهم .

☐ ولكن هؤلاء الشيوخ الذى تطلقون عليهم اسم « شيوخ السلطة » يؤيدون آراءهم بأسانيد من آيات القران والأحاديث ، ولا يقولون بشىء من عندياتهم ؟

★ ولكن أنا أيضاً أقول بالقرآن والأحاديث النبوية .. فلماذا لا تتركنى الحكومة أقول رأيي كما تركت هؤلاء يقولون آراءهم .

☐ إذا كان كل منكم يأتى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تساند رأيه .. فأين الفيصل إذن ؟ ومن يقول للناس بأن رأى هذا الشيخ أو ذاك هو الأصوب والأصح ؟

★ لماذا يقول الناس عن هذا الشيخ أو ذاك أنه شيخ السلطان ؟ لأنهم يرون الحكومة فى مصر غير ملتزمة بالشريعة الإسلامية ، ويأتون ببعض الشيوخ لتبرير أعمالهم أمام الناس ، وإضفاء صفة الشرعية عليها وحينما تريد الحكومة شيئاً فإنها تضرب عرض الحائط برأى نفس الشيوخ الذين أخذت برأيهم من قبل فى بعض المسائل أو الخطوات التى كانت تريدها ، لماذا لا تأتى الحكومة بنفس الشيخ ليقول رأيه فى هذه الخطوات بالذات ، وإذا قال رأيه لماذا لا تأخذ به الحكومة كما

أخذت برأيه فى السابق أو فى مواقف سابقة ؟
لماذا تتعامل الحكومة مع الشريعة بالقطعة .. لماذا تأخذ جزءاً وتترك أجزاء ؟ "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا » .
ولذلك فنحن نعيش فى خزى . لو أن الحكومة تسير على الشريعة لما كان هذا حالنا .
ودعنى أسألك هنا : لماذا أخذت الحكومة برأى المفتى فى فوائد البنوك ولم تأخذ برأيه فى مسابقة ملكات الجمال حين أفتى بأنها محرمة شرعاً ؟ إذا كان رأى المفتى هو رأى الشريعة ورأى الدين فلماذا لا تأخذون برأيه فى مسابقة ملكات الجمال التى تقيمون لها الاحتفالات فى التلفزيون .. ولماذا تطوفون به القرى والمدن ليحارب التطرف والإرهاب - كما تدعون - ثم لا تأخذون برأيه فى هذه المسألة ومسائل أخرى أفتى بحرمتها شرعاً ؟
لقد أفتى المفتى بأن شهادات الاستثمار حرام .. فلماذا لم تأخذوا برأيه حين أعلن ذلك وأخذتم برأيه حين غيره وأفتى بتحليلها ؟
لقد أفتى نفس المفتى بدلاً من المرة عشر مرات وقال بأن شهادات الاستثمار حرام وربا ، فلم يهتم أحد بكلامه ولم يأخذ أحد بفتواه .. وحينما قال بأنها حلال طنطنوا وملأوا الدنيا صراخاً وضجيجاً، ثم إن شيخ الأزهر ما زال يقول بأن شهادات الاستثمار حرام وربا فلماذا لم يهتموا برأى شيخ الأزهر ولم ينشروه ويذيعوه ويحتفلوا به كما احتفلوا برأى المفتى ؟ هذا هو ما يجعل الناس تفقد الثقة فى الحكومة وفى بعض الشيوخ الذين يتعاملون معها . وهنا يجب أن نحتكم إلى الإسلام دائماً .. لا أن نجعله زينة أو أداة نستخدمها وقت اللزوم لتبرير أعمالنا أمام الناس، ثم نتركها ولا نستمع إليها وقت أن يكون حكمها ليس فى صالحنا أو غير ما نريد عمله أو تنفيذه .

الانتهازية السياسية

□ يتهمكم البعض بالانتهازية السياسية وأنكم تتحالفون مع أعداء الأمس . كالوفد مثلاً، فما هو ردكم على هذا الاتهام ؟

★ إننا لا نستطيع ، وحتى وإن استطعنا فإننا لا نرغب فى تكميم أفواه الناس حتى لا يقولوا علينا ما يقولونه من تشنيعات .. العبرة هنا بالواقع وليس بما يقوله الناس عنا .. دعنى أسألك أنا : ما هى الانتهازية ؟ الانتهازية هى أن أغير مبادئى حسب الأحوال أو الظروف ، فهل أنا غيرت مبادئى أم أننى بقيت عليها ؟ فى جميع أنحاء العالم تتكون حكومات ائتلافية، فى ألمانيا وفى إيطاليا وفى غيرهما من بلاد العالم ، ولم يقل أحد عن تلك الحكومات أو الأحزاب المشاركة بها أنها أحزاب انتهازية ، لأن هناك حداً أدنى تتفق عليه جميع الأطراف ، فالخلافات بين الناس ليست خلافات كلية من الألف إلى الياء ولكن هناك اختلافات فى أجزاء واتفاقات فى أجزاء أخرى ، وأحياناً يكون هناك اتفاق فى أجزاء أساسية - مثلاً - نحن نعيش فى عصر أهم مطلب فيه

بالنسبة لنا هو الحريات السياسية ، فإذا استطعنا أن نتفق مع بعض الناس أو بعض الأحزاب على هذا الحد الأدنى ، فإن المصلحة العامة تقتضى منا التعاون معهم لإنجاز هذا الحد الأدنى من المطالب الأساسية ، حتى إذا تحقق ذلك استطاع كل منا أن يدعو لعقيدته وأهدافه ومنهجه .
هذه إذن ليست انتهازية سياسية ولكنها طبيعة الأمور وعين العقل .. فإذا كان بعض الناس محبوسين فى كهف فإن واجب كل منهم أن يمد يده إلى الحجر ليفتح الكهف ونستطيع جميعاً أن نستنشق الهواء النقى.. هذا أفضل أم أنهم يتقاتلون داخل الكهف حتى يأتى الموت عليهم جميعاً؟
هذه إذن ليست انتهازية ولكنهم يقولون ذلك لمجرد التشويه أو الانتقام لا أعرف ماذا أسمى السبب من وراء ذلك الاتهام أو هذه التقولات .

نحن و«الوفد» والآخرون

لم نكن حلفاء فى يوم من الأيام مع الوفد ، حتى وإن حدث هذا فماذا عليه ؟ نحن لدينا قاعدة نسير عليها دائماً وهى أننا لا نعادى أشخاصاً أو نؤيد أشخاصاً نحن ننظر دائماً إلى العمل، فإذا كان العمل مشروعاً أيدناه ، وإذا كان فيه خروج عن شرع الله عارضناه ، ولذلك من الممكن أن نؤيد حكومة أو حزباً فى أحد الأعمال ولا نؤيدها فى عمل آخر .. أما التحزب المقيت الذى كان سائداً فى الماضى أيام الاحتلال والذى ربما يوجد حتى الآن لدى بعض الأحزاب أو الدول وهو أن تعارض أى عمل أو فكرة أو موقف لمجرد أن الغير هو الذى قام بها ، فهذا ما نرفضه ولا نقبله ولا نقبل التعامل به .
كيف نتهم بالانتهازية السياسية إذا كانت الحكومة تعد قوانين لاغتيال حقوقنا ، نحن جزء من الشعب ، ومن هذه الأمة ، ولنا الحق فى مباشرة حقوقنا السياسية . ثم تأتى الحكومات المتعاقبة تخترع قوانين للحيلولة بيننا وبين ممارسة هذه الحقوق . قانون الانتخابات بالقوائم الحزبية - مثلاً - فى الوقت الذى تحرمنا فيه من إقامة حزبنا .. ما معنى هذا ؟ معناه بوضوح استبعادنا من الحياة السياسية وممارسة حقوقنا السياسية . لقد حكمت المحكمة الدستورية العليا بأن قوانين العزل السياسى قوانين غير دستورية . وما هذا إلا عزل سياسى . وموقف الانتخابات على القوائم الحزبيه مع حرماننا من أن يكون لنا حزب ، هو نوع من العزل السياسى غير الدستورى . ولذلك حكمت المحكمة الدستورية أيضاً بعدم دستورية هذا القانون الذى يغتال حق المواطن فى مباشرة حقوقه السياسية التى ينص عليها الدستور . إذن هل نقف جامدين دون حراك أمام هذه القوانين الباطلة الخارجة على الدستور ؟ حتى إذا اتفقنا مع حزب من الأحزاب على أن ندخل الانتخابات على قوائمهم تكون هذه انتهازية سياسية ؟ هل هذا عقل ؟ هذا منطق فاسد مبعثه الحقد لتشويه الصورة، ونحن ندعو غيرنا - كما ندعو أنفسنا - إذا أردنا الارتقاء بالحياة السياسية فى مصر أن تكون المناقشات دائماً عقلانية ومنطقية وعلى أصول محترمة حتى يمكن أن نصل إلى نتائج

سليمة. لقد جاءت الشورى عندنا منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة فى الوقت الذى كان فيه غيرنا عبيداً لحكامهم ، فكان الحاكم فى فرنسا أو روسيا أو غيرها من بلاد أوروبا المتفرقة الآن يملك الأرض ومن عليها وله الحق فى أن يسلب الناس حياتهم أو يبيعهم كما يبيع الماشية أو - الحيوانات من ممتلكاته . فى هذا الوقت نزل علينا الوحى من فضله تعالى يرشدنا إلى الحق ، ويقول "وأمرهم شورى بينهم" .. وبعد الهزيمة التى جاءت عقب شورى .. وحتى لا يتصور أحد أن الشورى تسببت فى الهزيمة ، أمر الله تعالى رسوله - وهو المعصوم - فقال له : ".. وشاورهم فى الأمر" .

سفاسف .. وصغائر

هذا موجود عندنا ويجب أن نعتز به .. أما الناس الذين لا هم لهم غير الكلام ، والاتهامات الكاذبة ، والألفاظ غير السليمة .. ماذا نفعل معهم ؟ لقد قالوا عن الرسول «ساحر ومجنون وأساطير الأولين» .. حينما يفتقد الناس الحجة السليمة يلجأون إلى مثل هذه السفاسف والصغائر. ليس عندنا وقت لنضيعه فى الجرى وراء ما يقولون .. والذين يقولون .

لم يكن بيننا وبين الوفد عداوة فى يوم من الأيام وإنما كان هناك مسلك نعارضه ، وأعمال نقول إنها صحيحة .. وحينما ألغى الوفد - على سبيل المثال - معاهدة عام ١٩٣٦ أيدناه .. وصفقنا له ، لم نقل له لا لأنه الوفد .

الوفد والعلمانية

□ ولكن « الوفد » كان ولا يزال حزباً علمانياً .. وأنتم تعتبرون العلمانية كفراً وخروجاً عن الشريعة .. فكيف تتحالفون معه ؟

★ الوفد ليس حزباً علمانياً ، وعنده نص فى برنامجه يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، صحيح أن مفهومه للشريعة يختلف عن مفهومنا نحن لها ، ولو كنا مع الوفد على عقيدة واحدة لاندمجنا فيه واندمج فينا . ولكن للوفد كيانه ولنا أيضاً كياننا .. وهذا أيضاً ينطبق على حزبى العمل والأحرار اللذين نتحالف معهما الآن ، لكل حزب من أحزاب التحالف الإسلامى كيانه المستقل، ولو كنا جميعاً على برنامج واحد متكامل ، وفهم واحد للعقيدة لاندمجنا معاً فى كيان واحد ، وهذه مسائل بديهية ، وإذا كانت هناك بعض الفروق بيننا وبين الآخرين فلا يعنى ذلك أننا يجب أن نعاديهم على طول الخط . او لا يعنى ذلك أنه لا توجد بينى وبينه نقاط التقاء واتفاق . هناك نقاط التقاء بيننا وبين الوفد والعمل ، فإذا كان لهذه النقاط الأولوية على غيرها فما الذى يمنع من أن نتعاون معاً لتحقيق ما نتفق عليه وهو أساسى وحيوى لنا جميعاً . وحينما يتم لنا ذلك يصبح من حق كل منا أن يدعو لما يدعو إليه بعيداً عن الآخرين . هذا هو المنطق .. وطبيعة الأمور، أما الآخرون فإنهم يضعون أمامنا نقاط الخلاف أولاً لندخل فى معارك وخلافات ونتركهم يعيشون

فى الأرض فسادا .
ونحن لسنا بدعاً فى ذلك فهذا يحدث فى مختلف بلاد العالم .. لقد تحالف العمال مع المحافظين مع الأحرار فى بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية .. فهل قال أحد إنها انتهازية سياسية ، لقد بقيت ما بينهم جميعاً اختلافات وخلافات إلى ما بعد الحرب .

لم نتدخل فى «العمل»

□ **فى هذا الإطار أيضاً ، يقولون أنكم دخلتم حزب العمل ، وأحدثتم فيه شقاقاً ، وانقسم الحزب إلى حزبين بعد تحالفه معكم !!**

★ لم يقل الاستاذ أحمد مجاهد ذلك ، ولكنهم يتهمون إبراهيم شكرى وأتباعه بأنهم تحولوا عن مبادئ الحزب ، ولم يقل أحد منهم إننا سيطرنا على الحزب أو تدخلنا فى شئونه الداخلية . ولكن الكتاب الذين يحاولون الدس والوقيعة بيننا وبين حزب العمل هم الذين يقولون مثل هذا الكلام الذى لا يمت للواقع بصلة من قريب أو بعيد .. وهم أول من يعلم ذلك ، لقد دخلنا حزب العمل بالاتفاق ودخلنا البيوت من أبوابها ولم نقتحم عليهم حزبهم ، بل دخلناه بالاتفاق والتراضى ، بعد أن اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب العمل وكان بها الاستاذ أحمد مجاهد وغيره من المنشقين الآن على إبراهيم شكرى وهى التى بحثت أمر تحالفنا مع «العمل» وقررت الموافقة عليه .. لقد اتخذوا هذا القرار بعد أن رأوا فيه مصلحة حزبهم ومصلحة وطنهم ، هل اتخذوا القرار بالأغلبية أو بالأقلية .. هذا شأنهم وحدهم ولم نتدخل فيه ولم نكن معهم حين اتخذوا قرار التحالف معنا ، لم ندخل حزب العمل بالغزو أو الاقتحام، ولم يكن لنا «حصان طروادة» لندخل به حزب العمل .
ودعنى أسألك هنا : هل أصبح عادل حسين - الذى يمثل الاتجاه الإسلامى داخل العمل - رئيساً لتحرير جريدة الشعب الناطقة بلسان الحزب قبل التحالف أم بعده ؟ الواقع يقول بأنه أصبح رئيساً لتحرير «الشعب» قبل أن ندخل معهم فى حزب العمل ، إذن نحن لم نفرض عادل حسين على حزب العمل أو على جريدة الشعب ، وهذا يدل على أن التيار الإسلامى موجود داخل حزب العمل قبل أن تدخله نحن . هذه مسألة واضحة وضوح الشمس ولكن النفوس المريضة تصورها بصورة مريضة، إن جريدة الشعب لا تزال ناطقة بلسان حزب العمل وليست ناطقة بلساننا نحن ، ولو كانت جريدة الشعب جريدتنا لكان لها وضع آخر وشأن مختلف .. نحن لا نملك فيها حالياً إلا مساحة قليلة ، وبقية المساحة مخصصة لشئون حزب العمل وكتابه وأقلامه نحن إذن لم نسيطر على جريدة الشعب أو على حزب العمل، كما يدعون ، هذا شىء واضح تماماً وحتى المنشقين على الأستاذ إبراهيم شكرى لا يقولون بذلك أبداً، ولكن الأقلام المريضة، والنفوس التى تريد تزييف الحقيقة هى التى تردد مثل هذا الكلام، أما أصحاب الشأن أنفسهم - الأستاذ أحمد مجاهد وزملاؤه - لا يقبلون هذا الكلام .

الإخوان وشركات توظيف الأموال

☐ **هناك اتهام يطلقه عليكم الكثيرون ، فيقولون أنكم شجعتم شركات توظيف الأموال وروجتم لها عند الناس باعتبارها تمثل فى نظركم نموذج الشركات الإسلامية والإقتصاد الإسلامى الذى تدعون إليه .. فما ردك على هذا الاتهام ؟**

★ لم نكن وراء شركات توظيف الأموال ولا أمامها ، نحن ننادى بالتطبيق الإسلامى فى كل نواحى الحياة ومنها الاقتصاد ، والبنوك الحكومية ربوية وتعمل بالربا مهما جاءوا بالفتاوى التى تقول بغير ذلك .. وهناك إجماع من فقهاء المسلمين على ذلك والناس أيضاً تعلم ذلك .. والفتوى بغير ذلك هى خروج على الإجماع . وهى تضر بالاقتصاد المصرى أكثر مما تفيده لأن من يصدق تلك الفتاوى سيذهب بفلوسه إلى بنوك الخارج بعيداً عن أيدى الحكومة أو أنظارها .. فإذا كانت الحكومة تريد من وراء تلك الفتوى تشجيع الناس على التعامل مع البنوك فإن الناس سوف تتعامل مع البنوك فعلاً ولكن ليس فى مصر . بل فى بنوك أوروبا وأمريكا .. بعيداً عن متناول الحكومة . وهذا يضر بالاقتصاد المصرى أكثر مما ينفعه . نحن ضد الاقتصاد القائم على الربا وندعو إلى السنن الإسلامية ، وقبل شركات توظيف الأموال كانت هناك بعض البنوك الإسلامية التى حاولت أن تجد صيغة إسلامية وسط هذا الخضم الهائل من البنوك الربوية.

النصب باسم الإسلام

وهذه البنوك الإسلامية لسنا مسئولين عنها ولم نشجعها ولم يقل أحد أننا على صلة بها.. وفى هذه الظروف التى وقفت فيها الحكومة عاجزة عن كسب ثقة الناس جاء بعض الناس الذين وجدوا فى المضاربة الإسلامية صيغة مناسبة للعمل فى السوق أطلقت على نفسها اسم شركات توظيف الأموال الإسلامية، وكان يجب على الحكومة منذ بداية الأمر أن تجد القانون الذى ينظم عمل تلك الشركات كما حدث فى باكستان لأنه بوجود هذه الشركات أصبح هناك سوق يدخله الصالح والطالح ..

وقد دخل البعض هذا السوق الواسع تحت عباءة الإسلام .. لقد أطلق البعض ذقونهم وارتدوا العمامة وقالوا إننا شركات إسلامية .. هذا ممكن بمنطق السوق الذى يجمع بين الطالح والفاسد . ولم نكن نحن فى يوم من الأيام وراء هؤلاء الناس سواء الصالح منهم أو الفاسد .. عبد اللطيف الشريف رجل مسلم ولم نطعن فى إسلامه بشىء .. ولكن طوال عمره لم يكن فى يوم من الأيام من الإخوان المسلمين ، إنه مثل عثمان أحمد عثمان الذى استعان ببعض الإخوان المسلمين ليديروا له العمل والنشاط الاقتصادى الذى يقوم به ، لقد فعل عثمان أحمد عثمان ذلك لكى يضمن أمانة وحسن إدارة وأخلاق القائمين على عمله ، وحتى فى عهد جمال عبد الناصر ، كان يسند أكبر المراكز فى شركاته لأعضاء من جماعة الإخوان المسلمين . ولكن عثمان نفسه لم يكن من الإخوان

المسلمين ولم يدع يوماً أنه من الإخوان المسلمين .. حينما يكون الأمر متعلقاً بالأموال والبنين ، يأمن الناس للإخوان المسلمين أكثر من غيرهم .. ضابط المباحث الذى يعذب الإخوان ويعتقلهم لا يأمن على ابنه إلا فى مدرسة يقوم على أمرها الإخوان ولكن المسألة واضحة ، وكل الناس مسلمين.. وحينما يخاف المرء على ماله من السرقة فإنه يودعه لدى من يأتمنهم .. ولهذا استعان الشريف وعثمان أحمد عثمان بالإخوان المسلمين ، رغم أنهما ليسا من الإخوان ولم يكونا عضوين فى الإخوان فى يوم من الأيام وهكذا فإن الناس تودع أموالها لدى من يأتمنوهم . وقد وضع كثير من المسيحيين أموالهم فى شركات توظيف الأموال .

☐ لقد دافعتم عن تلك الشركات فى مواجهة الحكومة ورفضتم تدخل الحكومة لحماية أموال الناس ؟

★ لقد عارضنا القانون الذى يتسبب الآن فى شكوى الناس .. لقد ضاعت على الناس أموالها بسبب القانون الذى عارضناه لأنه يصفى تلك الشركات ويجعل من الحكومة المهيمن الحقيقى عليها . القانون الذى قدمته الحكومة لا ينظم عمل تلك الشركات ولكنه يسيطر عليها . لقد كنا مع تنظيم تلك الشركات ولم نكن مع سيطرة الحكومة سيطرة كاملة عليها . أنا لا أدافع عن الريان ، ولم أره فى حياتى مرة واحدة إلا فى الصور . الذين تعاملوا معه يقولون للحكومة الآن مالك ، دعينا مع الريان وشأننا . هذا شىء عجيب ومخالف للدستور !!

☐ هل هذا هو البديل فى رأيك .. أن تترك الحكومة الناس وشأنها مع الريان وغيره من النصابين ؟

★ لقد عارضت القانون من زاوية أنه متسلط ويفسد ولا يصلح .. ولم أعارض تنظيم المسألة إننى مع النظام والتنظيم ولكنى ضد سيطرة الحكومة على تلك الشركات .. دعنى أسألك : لو أنك ألغيت الآن قانون الشركات المساهمة لتجعل من الحكومة هى المسيطر الحقيقى على كل شىء فيها ؟ لا بد من حرية الشركات واستقلالها وفى نفس الوقت لا بد من وجود الحكومة كمراقب ومنظم وليس كمسيطر .. قانون شركات توظيف الأموال الجديد لا يشترط موافقة هيئة سوق المال على تعيين المدير العام فقط بل يشترط موافقة مدير هيئة سوق المال على تعيين رئيس القسم أو أى موظف صغير فى أية شركة من شركات توظيف الأموال .. فهل هذا معقول ؟ ألا يعنى ذلك أن المباحث هى التى تعين الموظفين فى تلك الشركات .. ولمن سيكون ولاء هؤلاء الموظفين ، للشركة التى يعملون بها أم للمباحث التى يدينون لها بوجودهم فيها ؟

لماذا سكتت الحكومة ؟

☐ ولكن هذا حدث بعد أن وقعت المصائب .. وحتى لا تستمر عملية النصب المنظمة التى كانت تقوم بها تلك الشركات ، ولو لم يحدث ذلك لما تدخلت الحكومة على هذا النحو ، ألست معى فى ذلك ؟

★ لماذا سكتت الحكومة منذ البداية ؟ لقد بلغ حجم تعاملات الريان مع الحكومة أكثر من ۷۰۰ مليون جنيه ، وكانت تلجأ إليه ليورد لها الذرة الصفراء والحديد وغيره . أليس ذلك تشجيعاً للناس على التعامل والثقة فى الريان وغيره . إذا كان الريان قد حاز ثقة الحكومة وتعاملت معه ليحل لها مشكلاتها .. فما بالك بالناس ، لماذا لا يتعامل معه الناس ليحل لهم مشكلاتهم أيضاً ؟

من إذن الذى شجع الريان وروج له عند الناس ، نحن الإخوان المسلمين ، أم الحكومة ؟ ومن الذى تعامل مع الريان نحن أم الحكومة ؟ هل التليفزيون كان مملوكاً لنا أم للحكومة ؟ والصحف الحكومية، نحن أصحابها أم الحكومة ، لقد أخذ هؤلاء جميعاً يطاردون الناس بالإعلانات عن نشاط الريان وغيره - ليل نهار - فمن الذى سمح لهم بنشر تلك الإعلانات .. هل نحن الذى فعل ذلك أم الحكومة ؟

□ **لماذا لم تخرجوا إلى الناس لتقولوا لهم أن هذا ليس اقتصاداً إسلامياً وأن الريان لا يمثل الإسلام ؟ لماذا لم تحذروا الناس من التعامل مع شركات توظيف الأموال ؟**

★ أولاً من ناحية الصيغة العامة ، شركات توظيف الأموال هى شركات ذات صيغة إسلامية تقوم على المضاربة . أما داخل هذه الشركات ونوايا أصحابها فلم نكن نعلم ماذا يدور فيها .. وكيف يعملون وما هى أهدافهم أو نواياهم . لم نكن رقباء عليهم .. من أين لنا أن نعرف أن أصحابها يسرقون أو لا يسرقون ؟ وحتى هذه اللحظة لا نستطيع أن نقطع بشىء بخصوص تلك الشركات .

ما دخلنا نحن وهذه الشركات ، إنها مهمة الحكومة فهل تريدون أن تلبسونا عمامة الحكومة ؟

لقد تخلت الحكومة عن مسئوليتها ، وإذا كان هناك نصب من تلك الشركات فإن الحكومة قد شاركت فيه بكل تأكيد ، لأن النصاب دائماً يحتاج إلى من يعاونه ليجعل الناس تصدقه ولا تشك فى أمره .. ولقد لعبت الحكومة هذا الدور حين تعاملت معهم بملايين الجنيهات . وحين أطلقت العنان لأجهزة إعلامها لنشر الإعلانات عن تلك الشركات ونشاطاتها .

□ **إذا كانت الحكومة فاسدة - كما تقولون - وتشجع على الفساد ، فلماذا لم تدافعوا أنتم عن الناس، وأنتم الذى تطاردون الفساد - كما تقولون - وتكشفونه ؟**

★ كيف ندافع ؟ هل نحن أصحاب سلطة ؟

□ **كان يجب عليكم أن تقفوا ضدهم خاصة وأنهم يستخدمون الدين فى النصب على الناس ؟**

★ ومالنا نحن ، ومن أين لنا أن نعرف ؟ هل كنا نستطيع أن نقول للريان أعطنا حساباتك ؟ هل كنا نستطيع أن نقول له ماذا تعمل وماذا أخذت وماذا أعطيت ؟ هل نستطيع أن نفعل ذلك .. إذا فعلناه قالوا عنا إننا حكومة فوق الحكومة أو دولة داخل الدولة ، واتهمونا بالتدخل فى شئون الناس وهل نملك ذلك ؟

ومع ذلك بعد صدور القانون اتضح أن هناك شركات لم تكن تسرق ، وأن أصحابها لم يكونوا

يمارسون عمليات نصب على الناس فقد وفقت تلك الشركات أوضاعها وفقاً للقانون الجديد .. إذن ليس العيب فى المبدأ ولكن العيب كان فى التطبيق ، لقد كان هناك البعض يعمل بضمير، والبعض الآخر يعمل بدون ضمير .. وهذا هو السوق - كما قلت لك - فيه الصالح وغير الصالح ، وبذلك ثبت أن العيب ليس فى نظام المضاربة الإسلامية الذى كانت تعمل به تلك الشركات ، ولكن العيب كان فى طريقة التطبيق أو العمل أو النية ، كذلك كان العيب فى انعدام الرقابة .. والرقابة مهمة الدولة وليست مهمة شخص أو جماعة من خارج السلطة أو الحكومة . هل فى استطاعتى أن أدخل دكاناً صغيراً وأقول لصاحبه أرنى ميزانك أو قائمة أسعارك أو فواتيرك ؟

لم نسكت وأعلنا أكثر من مرة أن العملية تحتاج إلى تنظيم من قبل الدولة وإلى رقابة صارمة على عمل تلك الشركات ، ولكن الحكومة هى التى تقاعست حتى حدث ما حدث .. إذن هذه مسئولية الحكومة وحدها وليست مسئوليتنا نحن .

... **يستأنف المستشار مأمون الهضيبى** دفع الاتهام الموجه للإخوان المسلمين بأنهم شجعوا شركات توظيف الأموال ووقفوا وراءها باعتبارها نموذجاً للشركات الإسلامية، وتمثل تطبيقاً حقيقياً للإقتصاد الإسلامى الذى يدعو الإخوان لتطبيقه تمشياً مع الشريعة الإسلامية التى ينادون بها..

... **ويقول الهضيبى** .. إنه لا غبار على نظام المضاربة الإسلامية الذى كانت تعمل شركات توظيف الأموال وفقاً له .. ولكن الخطأ الذى وقع كان بسبب انعدام الرقابة وتنظيم عمل هذه الشركات ، وهى مسئولية الحكومة وليست مسئولية أحد غيرها .. وأن الإخوان ليست لديهم السلطة التى تمكنهم من إيقاف النهب والنصب المنظم الذى كانت تقوم به بعض تلك الشركات .

☐ **وحينما ذكرناه بسلطة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وهى سلطة منحها الله لكل مسلم .. قال الهضيبى :**

★ إننا دعونا الحكومة المصرية إلى إصدار قانون ينظم عمل ونشاط تلك الشركات وممارسة الرقابة الفعلية عليها .. وقد أصدرت الحكومة بالفعل قانوناً لتلك الشركات ، ولكن جاء القانون لتحقيق سيطرة الحكومة على نشاط تلك الشركات وليس لتنظيم نشاطها وأن ما حدث بعد ذلك ليس سوى نتيجة طبيعية وأثر من أثار ذلك القانون الذى جعل أيدى أصحاب تلك الشركات مغلولة فلم يتمكنوا من رد أموال المودعين أو التصرف فى شىء من أمر شركاتهم .. لقد سيطرت الحكومة على كل شىء حتى أن جهاز المباحث تولى الإشراف على تعيين حتى صغار الموظفين والعاملين بتلك الشركات وبذلك أصبحت الحكومة هى صاحبة الأمر والنهى فيها..

ويستطرد المستشار الهضيبى قائلاً :

إذن .. نحن لم نسكت وطالبنا بإصدار قانون ينظم العملية ، ولكن الحكومة سكتت وطال سكوتها وحينما تحركت «جابت عاليها أسفلها» وهدمت كل شىء .. وحينما عارضنا القانون الذى أصدرته الحكومة بشأن تلك الشركات لم نعارضه لأنه جاء لينظم .. بل عارضناه لأنه جاء ليفسد ويحطم

نتيجة طبيعية وأثر من أثار ذلك القانون الذى جعل أيدى أصحاب تلك الشركات مغلولة فلم يتمكنوا من رد أموال المودعين أو التصرف فى شىء من أمر شركاتهم .. لقد سيطرت الحكومة على كل شىء حتى أن جهاز المباحث تولى الإشراف على تعيين حتى صغار الموظفين والعاملين بتلك الشركات وبذلك أصبحت الحكومة هى صاحبة الأ ر والنهى فيها..

ويستطرد المستشار الهضيبى قائلاً:

إذن .. نحن لم نسكت وطالبنا بإصدار قانون ينظم العملية ، ولكن الحكومة سكتت وطال سكوتها وحينما تحركت «جابت عاليها أسفلها» وهدمت كل شىء .. وحينما عارضنا القانون الذى أصدرته الحكومة بشأن تلك الشركات لم نعارضه لأنه جاء لينظم .. بل عارضناه لأنه جاء ليفسد ويحطم حتى الشركات التى وفقت أوضاعها لن تستطيع العمل فى ظل هذا القانون وبالتالى فإنها سوف تصفى أعمالها فى غضون عدة شهور مقبلة .. إن طبيعة القانون تؤدى إلى ذلك حتماً .. لقد أصبح أصحاب تلك الشركات قليلين بهذا القانون حتى أنهم لا بد أن يستأذنوا هيئة سوق المال إذا أرادوا أن يقولوا لأحد «السلام عليكم» هل يمكن للعمل التجارى أن يستمر بهذا الشكل ؟ لقد جاء القانون ليحدد نوع النشاط الذى يجب أن تقوم به الشركات .. حتى إذا جاءت صفقة لواحد منهم كان عليه أن يذهب لرئيس هيئة سوق المال ليستأذنه فى عقدها . فهل هذا ممكن فى ظل نظام السوق الذى تعمل فيه هذه الشركات .. إنهم فى كثير من الأحيان يتحدثون مع هيئة سوق المال بشأن صفقات ينوون عقدها فيجدون الحكومة وغيرها سارعت «ولهفتها» لنفسها ..

هذا هو القانون الذى عارضناه والذى أعد وسلق فى يوم واحد ، وحينما ثبت فساده اضطرت الحكومة لإصدار أمر عسكرى لاستكماله وتصحيحه .. وفى هذه الأيام تنظر الحكومة فى مسألة إجراء تعديلات أخرى على القانون المعدل .. وقد قلت لوزير الإقتصاد إن قراراته بشأن تصفية الشركات التى لم توفق أوضاعها ليست نهائية لأن مجلس الدولة لا يزال ينظر الطعن فى تلك القرارات ، فى الوقت الذى لا يزال فيه وزير الإقتصاد يمارس عمليات التصفية لتلك الشركات بالفعل ؟ ولهذا أسندوا العملية للمدعى الاشتراكى الذى لا يحكمه قانون .. وهذا دخول من الباب الخلفى لتصفية تلك الشركات ..

إذن المسألة ليست مسألة حماية أموال المودعين .. كما ادعت الحكومة حين أصدرت ذلك القانون ، ولكن المسألة هى منع هذا النوع من النشاط الاقتصادى وتصفيته ظناً منهم أن هذا يفيد البنوك ، ولكن الحقيقة أن هذا ليس صحيحاً وكلنا يعرف ماذا حدث للشهادات الدولارية فى السوق .. لقد أبطلوا شركات توظيف الأموال وأصدر مفتيه الفتوى بتحليل فوائد البنوك وشهادات الاستثمار ثم أصدروا السندات الدولارية فهل أفادت بشىء ؟ لم يحدث أن جاءهم ذلك كله بفائدة تذكر ..

إذن ليس العيب إلا فى الدولة والحكومة ذاتها وهما اللذان يحاولان أن يلقيا علينا بالاتهام بتشجيع شركات التوظيف تنصلاً من المسئولية التى تقع على عاتقهم هم ، وبنفس الأسلوب ولنفس

الهدف يقولون أننا نمارس الانتهازية السياسية ..

□ **تردد أثناء الحملة الانتخابية فى عام ٨٧ أنكم حصلتم على دعم مالى من شركات توظيف الأموال وأنهم تكاتفوا لتمويل حملتكم الانتخابية فى مواجهة مرشحى الحكومة .. فما ردك على هذا الاتهام ؟**

★ هذا كلام فارغ .. وهل نملك نحن عشر ما تملكه الحكومة وحزبها الوطنى ، لم يعطنا الريان أو غيره مليماً واحداً وأتحدى أن يثبت أحد ذلك .. وأنا فى حياتى لم أقابل الريان مرة واحدة .. أنا مثلاً لم أستأجر سيارة واحدة أثناء الحملة الانتخابية لأن كل الأخوة الذين يمتلكون سيارات سخروها لمرشحى الإخوان مجاناً .. إننا لن نجرى وراء الإفتراءات الكاذبة ..

فالحقائق واضحة .. لقد سخر الحزب الوطنى كل إمكانات الحكومة من حكم محلى وبلديات وأمن مركزى وغيره فى الحملة الانتخابية ضدنا .. وكانوا يمزقون ملصقاتنا ليعلقوا ملصقاتهم .. وإذا كان صحيحاً ما يقولونه من أننا حصلنا على أموال من الريان أو شركات توظيف الأموال فلماذا لا تقدم الحكومة المستندات الدالة على ذلك وقد وضعت أيديها على كل المستندات الخاصة بتلك الشركات .. فهل وجدت بينها مستنداً واحداً يؤكد حصولنا على أموال من تلك الشركات ..؟

□ **لقد تردد أيضاً أن إحدى الدول الخليجية أمدتكم بالمال للصرف على الحملة الانتخابية الأخيرة. فما صحة ذلك ؟**

★ أقول لهؤلاء «خلوا عندكم شوية دم» .. ما أسهل الكلام على من يعرف أنه غير مسئول عن كلامه، قال رسول الله ص «وهل يكب الناس على وجوههم فى نار جهنم إلا حصاد ألسنتهم» ؟ .

إن من يعرف معنى هذا الحديث الشريف لا يمكن له أن يقول مثل ذلك الكلام .. والذى يغفل ويتناسى أن هناك ملكين عن شمال وعن يمين يسجلان كل ما يقوله، يستطيع أن يقول مثل ذلك وأكثر منه .

لماذا تعطينا تلك الدولة ؟ ومعروف أن بها هيئات كثيرة تعمل لحسابها علناً .. هناك مراكز إسلامية كثيرة فى أوروبا تمولها تلك الدولة ، فلماذا إذن تمولنا نحن ، ونحن هنا فى دولة إسلامية رائدة والدعوة الإسلامية فى مصر قوية وكبيرة فلماذا تأتى تلك الدولة لتلقى بأموالها هنا ؟ إنها لا تطمع فى أن تؤثر فى يوم من الأيام فى السياسة المصرية حتى وإن أرادت - نفترض جدلاً - إنها أرادت ذلك ، فهم ليسوا من الغباء ليفعلوه . إن كل شىء الآن واضح وظاهر ، ولم يعد فى مقدور أحد أن يخفى شيئاً عن الآخرين .

الدين للسياسة .. أم السياسة للدين

□ **هناك اتهام للإخوان المسلمين بأنهم يعملون بأسلوب « الدين للسياسة » وأن الدين لديهم وسيلة وليس غاية .. فما ردك عن هذا الاتهام ؟**

★ مسألة الدين غاية أم وسيلة تتعلق بضمائر الناس وقلوبهم .. أما مسألة «الدين والدولة» فهو شعار رفعناه منذ زمن بداية الدعوة .. وقلنا أن الحكومة جزء من إقامة الدين .. وهذا من المسائل الثابتة فى كتب الفقه .. إقرأ أى كتاب فى الفقه الإسلامى فتعرف منه أن ولى أمر المسلمين يسوس أمرهم على مقتضى أحكام الدين .. ونحن لا نؤمن بالسياسة المطلقة التى لا ضابط لها ، وفيها المكر والخديعة والدسائس .. هذا كله لا نعرفه .. نحن نعرف أن هناك سياسة ولا توجد جماعة بشرية بدون سياسة ، حينما أربى أولادى فلا بد من سياسة التربية وحينما أتعامل مع زوجتى فإننى أسوسها .. ولكن على أى مقتضى أسوسها ؟ أسوسها على مقتضى التعاليم الغربية - مثلاً - أم بمقتضى بعض المعتقدات التى أعتنقها وأومن بها ؟ إننى أعلم أولادى الصوم والصدق والعفة .. يمكن أن أعلم أولادى الصدق على أنه فضيلة مطلقة .. ويمكن أن أعلمهم الصدق على أنه أمر دينى . إذن فصل الدين عن السياسة فى أى أمر من الأمور ، غير ممكن ، فى اللبس والمأكل والسلوك والتعامل مع الآخرين لابد من أن يكون لكل إنسان سياسته ، هذا غير أن تسير حسبما اتفق ، تتجه مرة يساراً ومرة يميناً ومرة إلى الخلف ومرة إلى الأمام فإذا كان هذا غير مستحب بالنسبة للفرد فما بالنا بالدولة؟

نحن نطالب بأن تكون للدولة سياستها الشرعية، التى تسير عليها بمقتضى الشرع ونحن لا نطلب بالحكم لأنفسنا، وقلنا لهم أكثر من مرة أبدأوا بالخطوة الأولى وسنكون أول من يتبعكم وأول من يكون خدماً لكم، ونحن لا نملك أكثر من هذا لنؤكد أن الدين لدينا ليس وسيلة ولكنه غاية نسعى إليها .

ما معنى الإرهاب

☐ **هناك اتهام دائم لكم بالإرهاب ، وإنكم إرهابيون وتعتمدون على الإرهاب لتنفيذ سياساتكم أو للتخلص من معارضيكم .. فما ردكم على هذا الاتهام التقليدى ؟**

★ ما معنى الإرهاب ؟

☐ **الإرهاب هو القتل .. أو التهديد به .**

★ منذ عهد الثورة وحتى الآن لم نقتل أحداً .

☐ **وهذا اعتراف بأنكم قتلتم قبل الثورة وأنكم بدأتم إرهابيين .**

★ لا بد هنا أن نفرق بين عهدين عهد احتلال انجليزى كافر بمصر ، وبين عهد - بعد ذلك - أيا كانت صفة الحاكم فيه ، فهو مسلم .. لم يعد هناك جنود احتلال داخل بلادنا .

☐ **ولكنكم لم تقتلوا الانجليز فقط بل قتلتم مسلمين أيضاً القاضى الخازندار وحكمدار القاهرة سليم زكى ورئيس وزراء مصر محمود فهمى النقراشى وغيرهم .**

★ وهل نحن الذين قتلنا أمين عثمان ؟ وهل نحن الذين قتلنا سيرلى ستاك ؟ وهل نحن الذين قتلنا بطرس باشا غالى ؟

□ **هذه اغتيالات سياسية .**

★ ليست مصر وحدها التى كان فيها هذا النوع من الاغتيالات ، ولسنا وحدنا الذين مارسنا الاغتيال السياسى لقد مارسه أنور السادات نفسه وغيره .. لقد وجدت الاغتيالات السياسية فى كل بلد من بلاد العالم .. وفى كل الظروف حتى البلاد ذات الديمقراطيات العتيدة مثل أمريكا .. لقد أغتيل جون كيندى وغيره من رؤساء أمريكا .. ألم يحدث ذلك .. ؟ لقد أغتيل أولف بالم فى السويد .. إذن هناك اغتيالات سياسية فى كل دول العالم حسب الظروف والأحوال ، وأثناء الاحتلال، لم تكن هناك حركات وطنية إلا وقامت باغتيال المحتلين وأعوان المحتلين وهل كانت هناك قضية لدى عبد الناصر إلا الاستعمار وأعوان الاستعمار .. ؟ لماذا أصبح الاغتيال الآن سبة وإرهاباً .. ولماذا يعتبروننا نحن إرهابيين ، فى الوقت الذى يعتبرون فيه أنور السادات الذى شارك فى اغتيال أمين عثمان عميل الانجليز ، بطلاً ورئيساً للجمهورية ..؟

الاغتيال فى القضية الوطنية

□ **هذا اغتيال فى إطار القضية الوطنية ، وليس اغتيالاً لتصفية حسابات خاصة أو بغرض الانتقام الشخصى ؟**

★ وما هو الاغتيال الذى تم فى غير إطار القضية الوطنية ..؟

□ **اغتيال سليم زكى مدير أمن القاهرة والقاضى الخازندار والنقراشى رئيس وزراء مصر ووزير الداخلية قبل الثورة ..؟**

★ أولاً سليم زكى أغتيل وسط الناس ولم يعرف أحد حتى الآن من الذى قام باغتياله .

□ **.. والنقراشى ؟**

★ ما رأيك فى النقراشى ..؟ هل كان بطلاً وطنياً ..؟

□ **قد لا يكون بطلاً ولكنه كان مسلماً ..**

★ نحن نتحدث فى الناحية الوطنية .. هناك فرق كبير جداً بين قيادة جماعة تلتزم بخطة معينة وبرنامج معين وبين أشخاص يقررون شيئاً بأنفسهم أو ينفذون عملاً على مسئوليتهم الخاصة حتى وإن كان ضد رغبة ودون علم قيادة الجماعة التى يعملون فى إطارها .

لقد قبل النقراشى الهدنة وإيقاف الحرب ضد اليهود فى الوقت الذى كان فيه جهاد المصريين والعرب فى فلسطين قد بدأ يؤتى ثماره . ثم ماذا كانت نتيجة الهدنة التى عقدها النقراشى مع اليهود .. ؟ لقد كان من نتيجة ذلك أن التقط اليهود أنفاسهم وعوضوا خسارتهم وتزودوا بالعتاد والسلاح

واستأنفوا الحرب من جديد وهم أقوى مما كانوا عليه قبل الهدنة .. لقد أرسل اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية فى فلسطين برقية إلى النقراشى يقول له فيها «اكفونى شر شراتيك القاهرة وأنا كفيل بشرتوك إسرائيل» فى إشارة واضحة لموسى شرتوك وزير حرب إسرائيل .. لقد أراد فؤاد صادق قائد الجيش المصرى فى فلسطين أن يقول أن الخطر لا يأتى من إسرائيل ولكنه يأتى من القاهرة وهنا يمكنك أن تتصور كيف كان الحاكم فى مصر فى ذلك الوقت .. هل كان النقراشى وطنياً وقد وصفه قائد الجيش المصرى المحارب فى فلسطين بأنه أخطر من شرتوك إسرائيل ..؟
ولم يقف النقراشى عند هذا الحد ، بل انه قام باعتقال المجاهدين .. لقد وجد المجاهدون أنفسهم فى المعتقلات على أيدى النقراشى .. وقرر حل جماعة الإخوان وألقى بأعضائها فى السجون ليحرمهم من الجهاد فى فلسطين فإذا جاء من يفكر فى ذلك كله ويسأل نفسه لمصلحة من يفعل النقراشى ذلك..؟ وأجاب بنفسه لامصلحة لأحد فى ذلك كله أكثر من اليهود .. ثم قرر اغتيال النقراشى بعد ذلك عقاباً له على هذه الخيانة النكراء .. ويصبح الإخوان كلهم قتلة وإرهابيين ؟!

☐ **هذا اعتراف منك بأن اغتيال النقراشى كان عملاً إرهابياً .**

★ أنا لا أحكم على هذا العمل بأنه إرهابى أو غير إرهابى .. أنا أقول بأن الإخوان لم يأمروا به ولم يخططوا له - كجماعة وكقيادة .

☐ **لم يخططوا ولم يأمروا .. ولكنهم لم يستنكروه ..**

★ لا .. بالعكس لقد أصدر حسن البنا بياناً قال فيه بأن من قاموا بهذا العمل «ليسوا إخواناً .. وليسوا مسلمين» .

☐ **ولكن القاتل اعترف بأن قادته من الإخوان هم الذين أمروه بذلك ..**

★ هل اعترف بأن حسن البنا هو الذى أمره ؟

☐ **ليس حسن البنا بالذات .. ولكن قادة المجموعة التابع لها القاتل ..**

ويواصل الهضيبى كلامه قائلاً : لماذا يقولون عنا إرهابيون والذى شارك فى اغتيال أمين عثمان - عميل الانجليز - أثناء الاحتلال لم يقولوا عنه ذلك ؟ ولماذا لم يقولوا عنه ذلك ؟ ولماذا لم يقولوا على جمال عبد الناصر إنه إرهابى حين هدد بالقتل جميع من ذهب إليه ليطالبه بالاستسلام والرضوخ لطلبات انجلترا وفرنسا وإسرائيل أثناء العدوان الثلاثى على مصر ؟
لماذا يتهمون الإخوان بالإرهاب لمجرد أن واحداً أو اثنين خرجوا على الجماعة وقاموا بأعمال على مسئوليتهم الخاصة .. ثم إن هذا تاريخ انتهى وولى عهده ، ولم يكن الاغتيال جزءاً من فكر الإخوان أو راجعاً لطبيعة دعوتهم ولكنه كان راجعاً لظروف اجتماعية وسياسية كانت موجودة فى مصر كما كانت موجودة فى غيرها من دول العالم المختلفة ..

☐ **لقد حاولتم اغتيال عبد الناصر عام ١٩٥٤ ثم قلتم أنها تمثيلية قام بها عبد الناصر للتخلص**

من الإخوان المسلمين ، بينما كان المتهمون فى القضية أعضاء حقيقيين فى جماعة الإخوان المسلمين.

★ نعم لقد كانت تمثيلية ، وقد شهد بذلك محمد نجيب وعبد اللطيف البغدادى وحسن التهامى وكمال الدين حسين .

□ **ولكن كل هؤلاء خصوم لعهد الناصر وأصحاب مصلحة فى تشويه صورته .**

★ إذن دعنا نناقش المسألة بالعقل .. هل من المعقول أن نكلف عضواً من القاهرة لاغتيال عبد الناصر فى الاسكندرية ، لماذا لم نكلف عضواً من الجماعة بالاسكندرية ، على الأقل لأنه يعرف الشوارع والأماكن أكثر من أبناء القاهرة ثم هل من المعقول أن نرسل واحداً بمفرده ليقوم بعملية كبيرة كهذه؟

□ **وهل هناك مسدس واحد يطلقه عشرة أفراد بيد واحدة ؟**

★ إذن ارجع إلى تسجيلات القضية عقب الحادث مباشرة ، لقد قيل أن محمود عبد اللطيف المتهم بالاغتيال ضبط ومعه مسدس براونتج ٦م ، وحينما وجدوا أن المسدس بهذا الطراز لا يصيب من المسافة التى أطلق منها ، جاء الخديوى أدم بعدها بأسبوع وقال أنه وجد مسدساً «باربيللو» كبيراً فى مكان الحادث فوضعه فى جيبه ، وحينما ضغط عليه أخوه ليسلمه ، فوافق على تسليمه ، فلم يجد مسئولاً فى الاسكندرية كلها ليسلمه المسدس فقرر الذهاب إلى القاهرة ولكن كيف جاء إلى القاهرة، جاء سيراً على الأقدام ليجد جمال عبد الناصر فى انتظاره على مدخل الباب ليسلمه له شخصياً .. هل هذا معقول ، هل هذا كلام يصدقه عقل ؟

□ **هذا كلام الصحف وليس كلام التحقيقات الرسمية .**

★ من أين جاء الخديوى آدم بالمسدس "الباربيللو" .. وكيف وجد جمال عبد الناصر فى انتظاره على باب مجلس قيادة الثورة ليعطيه مائة جنيه مكافأة له .. وأين الخديوى آذم حتى الآن وإلى أين ذهب؟

□ **لماذا لا تبحثون عنه أنتم .. فلديه دليل براءتكم كما تقولون ؟**

★ وماذا نعرف نحن عنه ، ومن هذه الشخصية ، ومن أين جاء ؟ وهل هو حى حتى الآن ؟
ثم دعنى أسألك.. من الذى يجلس فى الصفوف الأولى فى أى مكان يخطب فيه رئيس الجمهورية؟

□ **كبار المدعوين والمسئولين .. بطبيعة الحال .**

★ إذن كيف جاء محمود عبد اللطيف ليجلس فى الصفوف الأولى .. ومن الذى سمح له بالجلوس فى هذا المكان .

□ **بالتأكيد لقد تسلل دون علم الحرس أو المسئولين .. المسألة لا تحتاج إلى تفكير .**

★ لقد كان الإخوان يجلسون فى الصفوف الأولى قبل وصول جمال عبد الناصر ثم أخلى السرادق من

الإخوان حتى لا يهتفوا ضده أثناء الخطاب .. إذن من الذى سمح لمحمود عبد اللطيف بالبقاء فى مقعده فى الصفوف الأولى بينما لم يسمح لبقية الإخوان وقد جاءوا بأعضاء هيئة التحرير ليجلسوا فى الصفوف الأولى بدلاً من الإخوان ليهتفوا لجمال عبد الناصر .

☐ **لماذا لا تقول بأن محمود عبد اللطيف تسلل وسط أعضاء هيئة التحرير وجلس معهم فى الصفوف الأولى .**

★ لا .. لأن الذى جاء به إلى الصفوف الأولى هو أحمد أنور قائد البوليس الحربى ليقوم بدوره المرسوم.. فى التمثيلية ..

☐ **إذن ما هو الهدف من هذه التمثيلية ؟**

★ الهدف هو التخلص من الإخوان المسلمين .. وكانت التمثيلية معدة أصلاً لاغتيال محمد نجيب ليقال أن الإخوان اغتالوه فيتم التخلص من الاثنين معاً بضربة واحدة ، الإخوان ومحمد نجيب بطلقة واحدة .. ولكن محمد نجيب - حسب روايته - شعر بما يدبره له جمال عبد الناصر فتظاهر بالمرض حتى لا يذهب إلى مكان الاحتفال .. فذهب عبد الناصر بدلاً منه .

☐ **إذا كان ذلك صحيحاً فإنه دليل على أن المسألة لم تكن تمثيلية ، فكيف يطلب عبد الناصر من محمود عبد اللطيف أن يغتال محمد نجيب فيقوم باغتياله هو ؟ أم أن محمود عبد اللطيف كان لا يستطيع التفريق بين عبد الناصر ونجيب ؟**

★ لنفرض أنهم اتفقوا مع عبد اللطيف لاغتيال محمد نجيب أو جمال عبد الناصر ، فما مسئوليتنا نحن ؟ وما شأننا نحن فى هذا كله ؟

☐ **لقد سألتنى أنت عن خديوى آدم ، دعنى أسألك أنا عن محمود عبد اللطيف ألم يكن عضواً فى الإخوان المسلمين وفى التنظيم السرى ؟ ألم يكن هناك تنظيم سرى للإخوان تحت قيادة يوسف طلعت ؟ ولماذا هذا التنظيم ولماذا كان سرياً ؟ وهل هناك تمثيلية تنتهى بالجد وتنقلب إلى حقيقة ؟**

★ إن التاريخ يعلمنا أن الشخص الذى يُستخدم، يستخدم تحت إغراءات وأحياناً يستخدم تحت تأثير نوع من العقاقير وهذا أمر معروف .. وأن هذا الشخص يمنى بالإغراءات الكثيرة . ولكن التاريخ يعلمنا أن هذا الشخص يغدر به بعد ذلك ويقتل غدراً .. ولذلك قيل أن الهنداوى دوير سأل عن جمال عبد الناصر وهم يقودونه إلى المشنقة .. وقال إننا لم نتفق على ذلك .. ثم أغمى عليه ..

☐ **ولكن الذى أجرى المحاكمة كان جمال سالم وأنور السادات وحسين الشافعى والأخيران معروفان بميولهما الإخوانية وعلاقتهما الجيدة بالإخوان المسلمين ولم يكن جمال عبد الناصر هو الذى رأس المحكمة أو أصدر أحكامها .. بل إنه خفف العقوبة من الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة على الكثيرين من قيادات الإخوان ، وقد احتج جمال سالم على ذلك وطالب عبد الناصر بالتصديق على حكم المحكمة دون تعديل ودون رأفة .**

★ من قال أن السادات والشافعى من الإخوان المسلمين ؟

☐ لقد قال السادات ذلك فى أكثر من مكان ولم يرد عليه أحد منكم ، أما حسين الشافعى فكان ولا يزال معروفاً عنه الزهد والتقوى وهو أقرب إلى الإخوان من أى اتجاه آخر .. وبالتأكيد كان سيحتج لو أنه رأى ظلماً يقع على الإخوان .

★ إننى أقول ذلك.. وإذا أردت أن تصدق فصدق، وإذا لم تصدقنى فليس لدى ما أقوله لك لتصدقنى .. لقد قلت لك وقلت للناس جميعاً ما عندنا فإذا أردت التصديق فصدق .. وإذا لم ترد فأنت حر. أنور السادات لم يكن من الإخوان المسلمين .. بل كان عضواً فى الحرس الحديدى التابع للملك .. وحسين الشافعى رجل «مستشيخ» ولكنه لم يكن من الإخوان . وهل من الإسلام أن تكون خصماً وحكماً . لقد كان حسين الشافعى خصماً وأنور السادات وجمال سالم كانا خصمين فكيف يقبلان بأن يكونا حكمين .

☐ هناك فرق .. لقد جرت محاكمة علنية .. ولم ينفذ الإعدام إلا بعد محاكمة حسب الأصول المتبعة فى مثل هذه الظروف .

★ لقد كانت محاكمة أجراها البوليس الحربى ، وأنا أقول إن الإخوان لو أرادوا حقيقة اغتيال جمال عبد الناصر لما أرسلوا واحداً بمفرده دون رديف له أو مساعد يساعده من قريب أو بعيد .. هذا مناف لكل منطق وعقل .. ولو عدت لملف اغتيال النقراشى ، لوجدت ترتيبات وإجراءات أعدت بإحكام ، وهناك فرق بين السماء والأرض .. بين ما جرى فى حادث اغتيال النقراشى وبين ما جرى فى هذه التمثيلية الهزلية . ورغم كل إجراءات التعذيب التى قام بها البوليس الحربى انتهى الأمر إلى أن قيادة الجهاز السرى يوسف طلعت لم يكن له علم بهذا الموضوع وكذلك إبراهيم الطيب الذى كان مسئولاً عن القاهرة ، بل كان معلوماً لديهم جميعاً أن المرشد العام حسن الهضيبى قال لهم جميعاً: «أنا برىء من دم جمال عبد الناصر» وأمرهم ألا يمد أحد منهم يده على جمال عبد الناصر. إذن الجماعة - كقيادة - بريئة من هذا الحادث . وإذا افترضنا جدلاً وهو غير وارد - أن تلك المحاولة كانت حقيقية ، فهى جزء . وعمل فردى ثم لا تنس أن عبد الناصر قرر حل الجماعة قبل هذا الحادث بعدة شهور وألقى القبض على أعضائها وأدخلهم المعتقلات .

تعديل الأحكام

☐ هذا دليل آخر على أنها لم تكن تمثيلية .. فأنت تقول بأن عبد الناصر قد قام بهذه التمثيلية ليجد المبرر الذى يتخلص به من الإخوان المسلمين فكيف ذلك وقد تخلص منهم بالفعل كما تقول وأودعهم المعتقلات والسجون ، ثم إذا كان ذلك صحيحاً فلماذا خفف الأحكام على معظمهم واكتفى بالسجن دون الإعدام .. على غير رغبة هيئة المحكمة وبقية زملائه بمجلس قيادة الثورة .

★ عبد الناصر لم يخفف ولم يعدل الأحكام .. الوحيد الذى عدل الحكم عليه هو الوالد رحمه الله حسن الهضيبى ، المرشد العام للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت .. وقد خفف الحكم من الإعدام إلى

السجن . كذلك خفف الحكم على صلاح شادى رحمه الله لأنه كان قد اشيع أنه مات واستدعى أهله ليتسلموا الجثة وحينما تأكد لهم أنه حى خفف الحكم عليه من الإعدام إلى السجن .
والمسألة التى لا تقبل الخلاف أن كل من أعدم لم يكن له شأن بهذا الحادث ، بل وكان ضد هذا الحادث . لا الشيخ فرغلى أو عبد القادر عودة أو يوسف طلعت ولا إبراهيم الطيب .. لم يكن لأحد من هؤلاء أى شأن بحادث اغتيال جمال عبد الناصر لم يكن هناك سوى محمود عبد اللطيف ، وهنداوى دوير .. هما فقط اللذان قيل أنهما قاما بالمحاولة على مسئوليتهما الذاتية .. ووقف الأمر رغم التعذيب والتنكيل عند هذا الحد ولم يتجاوزه إلى غيرهما .
فإذا افترضنا أن ذلك حدث ، فإن الجماعة غير مسئولة عنه . بل كانت تقف ضده ورغم التعذيب الذى وقع عليها وعلى أعضائها . تتحدث معى الآن وكأنك تدافع عن التعذيب والتنكيل .

□ **إننى لا أدافع عن التعذيب والتنكيل وأستنكره تحت أى ظرف من الظروف ولكن يجب عليكم أنتم أيضاً أن تستنكروا الحوار بالمسدس والجنزير بدلاً من التى هى أحسن .**

اين المستندات

★ بدلاً من أن تقول لى ذلك اذهب إلى من أجروا المحاكمة وقل لهم حرام عليكم، ليس من الشرع والدين أن تكونوا خصوماً وحكاماً فى نفس الوقت .. وليس من الشرع أو الدين إزهاق الروح التى حرم الله .

□ **ولكنها كانت محاكمات علنية ، فلماذا لم يدافعوا عن أنفسهم أمام الناس ؟**

★ وهل كانت المحاكمات مذاعة على الهواء وهل تعتقد أنهم يسمحون بنشر ما يسىء إليهم ويبرئ المتهمين ، لقد اختاروا ما يسىء إلى المتهمين ويعطى الحق لهم فى الإعدام والتعذيب . هذا هو ما نشر أما ما لم ينشر فهو الحقيقة التى أرادوا حجبها عن الناس . أولى بك أن تدين هذا .

□ **نحن ندين هذا فعلاً .. ولكننا يجب أن ندين الاغتيال أولاً .. القتل غيلة والطعن فى الظهر ليس من شيم المسلمين .. الاغتيال أقوى من التعذيب .**

★ لا .. التعذيب أقوى وأفظع ألف مرة من الاغتيال لأنك تغتال بعض الأشخاص ولكنك تعذب عشرات الألوف .. وفى يوم واحد قتلوا ٢٧ شخصاً فى ليمان طرة .

لماذا لم يلجأ أهلهم للقضاء طلباً للتعويض أو التماساً للبراءة ؟

★ متى ؟ الآن ؟ وماذا يفيد ذلك .

قضايا التعذيب لا تسقط بالتقادم حسب نص القانون فلماذا لا يلجأون إلى القضاء ؟

★ أين الأوراق ؟ أين المستندات ، إنك لا تستطيع أن تأتى بورقة تثبت أنهم كانوا فى السجن . لقد مزق صلاح الدسوقى أوراق القضية وانتهت بهذا .



وماذا بعد .. ؟

ماذا لو أن موقف الهضيبى الأب وهو فى مواجهة عبد الناصر كان بنفس الدرجة من المرونة التى جاءت عليها إجابات الهضيبى الابن على أسئلتى ؟

ماذا لو قال الهضيبى الأب لنفسه إن الخلاف مع عبد الناصر هو خلاف فى التفاصيل والتفاسير وليس خلافاً حول أسس وأصول ؟ و "إن الاختلاف فى التفاصيل أمر وارد" - كما قال الهضيبى الابن - أم ترى أن الخلاف بين الهضيبى الأب وعبد الناصر كان خلافاً حول "الأصل" ؟!

- هل كان الخلاف مع عبد الناصر حول سياسته الاشتراكية خلافاً فى الأصل أو فى الفرع ؟
- وهل كان الخلاف مع عبد الناصر حول اتفاقية الجلاء مع الانجليز خلافاً فى الأصل أو الفرع ؟
- وهل الخلاف مع عبد الناصر حول قوانين الإصلاح الزراعى كان خلافاً فى الأصل أو الفرع؟
- وهل كان الخلاف مع عبد الناصر حول تنظيم النسل خلافاً فى الأصل أو خلافاً فى الفرع؟
- وهل كان الخلاف مع عبد الناصر حول قرارات التأميم خلافاً فى الأصل أو خلافاً فى الفرع ؟

نقول بأنها كانت كلها خلافات حول "الفرع" ولم تكن خلافاً حول أصول وثوابت .. وإلا ماذا تعنى الشريعة الإسلامية لو لم تكن تهدف إلى العدالة الاجتماعية والقضاء على الفقر وتحقيق الحرية للوطن والمواطن ؟

ألم يكن عبد الناصر يسعى إلى تحقيق المصلحة "وحيثما توجد المصلحة فثم شرع الله" كما جاء فى إجماع الفقهاء ..

وهل كان عبد الناصر فى سعيه لتحقيق تلك المصلحة يصطدم "بنص" شرعى من القرآن أو السنة ؟

ماذا لو قال الهضيبى الأب كما قال الهضيبى الابن "إن هناك سلطة تقديرية لولى الأمر تقتضى التفكير والتدبير فهو ليس قطاراً لا يحيد عن قضبانه وإلا سقط بركابه .. هذا جمود يتنافى مع الشريعة الإسلامية السمحة" !

لماذا طلب الهضيبى الأب من عبد الناصر أن يكون قطاراً لا يحيد عن قضبانه..؟ وهل كان يريد للقطار أن يسقط بركابه ؟! ولماذا تكون "الشريعة سمحة" إلا مع عبد الناصر ؟!

نقول .. إنه لو كان للهضيبى الأب قدر - ولو ضئيل - من مرونة الهضيبى الابن "وهو فى مواجهة عبد الناصر .. لما سقط القطار بركابه من الجميع !

أما وإن ما حدث قد حدث .. فلابد للفريقين - إخواناً وناصريين - من مراجعة شاملة كاملة لمعالجة أسباب الحادث الأليم الذى راح ضحيته عدد غير قليل من الأبرياء ، ومعرفة أين كان الخلل .. فى القطار أم كان فى القضبان ؟!

سليمان الحكيم

الفهرس

قائمة إصدارات
مركز الحضارة العربية
للإعلام والنشر

العنوان	المؤلف
السلام الفتاك *(سلام أشد هولاً من الحروب)*	محمد خليفة
البديل الإسرائيلى للعروبة	سيد زهران
(المشروع الصهيونى للسوق الشرق أوسطية)	ومصباح قطب
	تقديم: أمين هويدى
مشروع للتليُّف القومى	
ترجمة لورقة مصر إلى عمان والدار البيضاء	مصباح قطب
غزة أريحا – المأزق والخلاص	عبد القادر ياسين
غزة أريحا – التسوية المستحيلة	چورج المصرى
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية	د .السيد عوض
سلام أم استسلام	
دراسة فى مشروعات ومعاهدات السلام	د . أحمد الصاوى
أوهام السلام	عبد الخالق فاروق
بروتوكولات حكماء صهيون	
التلمود	
التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة	محمد قاسم
القوة العسكرية الإسرائيلية	جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل «*إيلى كوهين*»	جمال الدين حسين
عملية السرب الأحمر «*إغراق إيلات*»	جمال الدين حسين
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر	صلاح بديوى
إختراق الأمن الوطنى المصرى	عبد الخالق فاروق
المياه العربية	
(بين بوادر العجز ومخاطر التبعية)	عبد الله مرسى العقالى
من يحمى عروش الخليج	
(النفط والتبعية)	د . أحمد ثابت
إعدام صحفى (قصة الإفتاء بقتل كاتب	
مسلم بسبب جريمة أمريكا فى الخليج)	سعيد حبيب
الكرامة الضائعة	حمادة إمام
البديل الناصرى	
(قراءة فى أوراق التنظيم الناصرى)	سيد زهران
عن الناصرية والناصريين	
(حوار مع د . جمال الأتاسى)	مجدى رياض

العنوان	المؤلف
أزمة الإنتماء فى مصر	عبد الخالق فاروق
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
التطرف الدينى ..	
ومستقبل التغيير فى مصر	عبد الخالق فاروق
كارثة المعونة الأمريكية	جمال غيطاس
العلاقات الليبية – الأمريكية	د . السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣	
(اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)	مجموعة مؤلفين
حلايب.. نزاع الحدود بين مصر والسودان	أحمد محجوب
الإخوان والعسكر	حيدر طه
القوى الخارجية والإتجاهات	
الإقليمية فى السودان	د . السيد فليفل
نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا	د . السيد فليفل
الشيشان	عمرو ناصف
الحكومة والسياسة فى الإسلام	طارق، جاكلين إسماعيل
	ترجمة سيد حسان
الوجيز فى بداية التكوين	عبد العزيز محمد ،
	مصطفى الخولى
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د . أحمد الصاوى
برلنتى والمشير *(القصة الحقيقية)*	سيد زهران
أسرار العلاقة الخاصة بين عبد الناصر والإخوان	سليمان الحكيم
المرأة التى أحبها عبد الناصر	شفيق أحمد على
حوارات عن عبد الناصر	سليمان الحكيم
عبد الناصر .. هذا المواطن	سليمان الحكيم
غاندى	ربيع مفتاح
عبود الزمر .. حوارات ووثائق	أحمد رجب
اعترافات الأميرة جيهان	ماجدى البسيونى
السكة الإسلامية فى مصر	د . رأفت النبراوى
الأعشاب الطبية	موسى الخطيب
الجنس والشباب الذكى	كولن ولسون
	ترجمة: أحمد عمر شاهين

العنوان	المؤلف
الصوت والضوضاء	د.مصطفى عبد المطلب
ماهي السينما	صلاح أبو سيف
الأطفال والناشئة	
عزة في الفضاء	أم كلثوم إبراهيم
مهرجان (سلسلة شهرية)	أحمد زرزور،ممدوح طلعت
السلسلة القومية	
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى	د . أحمد الصاوى
الناصرية والتاريخ	سيد حسان
الناصرية ... الأيديولوجيا والمنهج	سيد زهران
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى	چورچ المصرى
فلسطين الانتفاضة ..جدل الوطن والأمة	د . أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية	د . السيد الزيات
الناصرية والتجديد.. *(نحو برنامج طموح)*	مجدى رياض
السلسلة الإسلامية	
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده	تحقيق د.محمد عمارة
الإسلام والعروبة	مجدى رياض
الحركة الإسلامية فى مصر	صالح الورداني
كيف تقرأ القرآن	محمد محمود عبد الله
كيف تجود القرآن	محمد محمود عبد الله
التربية الإسلامية	محمد محمود عبد الله
القرآن : حل مشاكل الأمة	محمد محمود عبد الله
قبس من نور الأسماء	محمد محمود عبد الله
نظرات فى نزول القرآن على سبعة أحرف ونشأة القراءات	محمد محمود عبد الله
أدب	
مطرية الغروب	جمال الغيطانى

العنوان	المؤلف
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
حرب بلاد نعم	خيرى عبد الجواد
هذه الليلة الطويلة .	د.أحمد صدقى الدجاني
حكايات الديب رماح	خيرى عبد الجواد
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحد .	عبده خال
مملكة القرود .	محمود عبد الحافظ
أحزان رجل لا يعرف البكاء .	خالد غازى
الشاعر والحرامي .	عزت الحريرى
رشفات من قهوتي الساخنة .	محمد محى الدين
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
شعر	
رويداً باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
صلاة المودع	صبرى السيد
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطى
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفه صالح
اللعبة الأبدية ...	محمد الفارس
غربة الصبح	محمد الفارس
الغربة والعشق	مجدى رياض
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
رماد الأساطير	نادر ناشد
السماء تعتزل النبوءة	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد
فى مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد

خدمات إعلامية وثقافية "إشتراكات"

ملخصات الكتب : عرض وتلخيص لأهم الكتب السياسية والفكرية ، العربية والعالمية .

وثــائـــق : تتناول نشاطات ووثائق الأحزاب والقوى السياسية فى الوطن العربى.

النشرة الدولية : تتناول ما ينشر فى الدوريات الأجنبية .

دراسات عربية : دراسات وأبحاث وملفات متخصصة ،تحليل سياسى لأهم الأحداث .

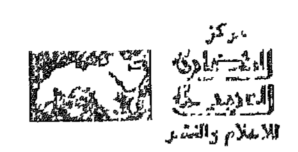
معلومات - ملفات صحفية موثقة : لكافة القضايا والموضوعات.

عبدالناصر .. والإخوان

ظلت العلاقة بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، تمثل واحداً من أكثر الألغاز إثارة فى تاريخ مصر المعاصر .. ولقد طغت الخصومة - بل والعداء - بين الفريقين حتى أصبحت هى الأغلب على وصف العلاقة بينهما .. رغم ما يجمع عليه المؤرخون من وجود علاقة ارتباط لعبد الناصر بجماعة الإخوان فى مرحلة مبكرة من تاريخه السياسى .. ولكن أحداً منهم لم يقف طويلاً عند تلك المرحلة فى تاريخ العلاقة بين الطرفين ليكشف لنا أسرارها ويحل ألغازها ليساعدنا على الإجابة عن العديد من الأسئلة الهامة والخطيرة مما ينعكس بإثاره على المرحلة الحالية فى تاريخنا السياسى .

من هنا يحاول الكتاب أن يسهم فى الكشف عن أسرار العلاقة بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ، وفيم كان الخلاف الذى وصل إلى درجة الصراع والصدام العنيف ، وما زال يلقى بظلاله ...

وهل هناك إمكانية أمام الفريقين - ناصريين وإخواناً - لمراجعة شاملة كاملة لمعالجة أسباب الصدام .. والنظر إلى المستقبل برؤية تتجاوز ثأرات الماضى ؟!



مركز
الحضارة العربية
للإعلام والنشر